الوطن بين هدي القرآن وضلالات الأفهام

إعداد

الدكتور/ محمود خليفة محمود حفناوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم أصول الدين

كلية العلوم الإسلامية الأزهرية للطلاب الوافدين بالقاهرة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،،،

وبعد

فإن حب الوطن من الأمور التي حبى الله تعالى بها الفطر السليمة، وأولى بها العقول المستقيمة، فهو موضع الميلاد، ومضجع الآباء والأجداد، هواؤه أول هواء حرك الرئتين، وترابه أول تراب مس الراحتين، وشعاع شمسه أول شعاع اغترف العينين، مجرى الصبا وملعبه، وعرس الشباب وموكبه، ومراد الرزق ومطلبه، وطريق المجد ومركبه، فهو النعمة القريبة للإنسان، ففيه مستقر حياته ومحل ميلاده، ومكان عرضه ومكمن شرفه.

أولاه القرآن عناية فائقة، فذكره في غير موضع منه، بين آية تصرح وأخرى تلمح، والغاية واحدة إذ كان حب الأوطان من الإيمان.

وعلى هدي القرآن سارت السنة النبوية المطهرة، وباين هذين الهدي الشريف – هدي القرآن الكريم والسنة النبوية – ضلال أناس رأوا من الوطن صنما يعبد، وحفنة تراب لا قيمة لها تذكر، وغفلوا عن كونه جوهرة شريفة يجب أن تحفظ، وقطعة تبر يتنسم الإنسان من خلالها عبير الأمن والأمان.

لأجل ما سبق جاء هذا البحث الذي يصور نظرة القرآن الكريم – دستور الأمة الإسلامية وكتابها الخالد – إلى الوطن عل من يقف على هذه الحقيقة يرعوي عن غيه، ويئوب إلى رشده، فجاء عنوان البحث "الوطن بين هدي القرآن وضلالات الأفهام"

أسباب اختيار الموضوع

هذا وقد دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع بالإضافة إلى ما سبق:

– انتشار أفهام مغلوطة حول قضية الوطن أدت إلى ذوبان هذه القيمة وتلاشيها أمام فهوم عقيمة حينا وتقدمية حينا آخر.

- الصراع الفكري المنتشر بين الأوساط العلمية والثقافية حول قضية الوطن عند تعارضه ولو ظاهرا مع الدين، ولمن تكون الأولوية وقتئذ للدين أو للوطن؟

-دعوة بعض الجماعات والطوائف والفرق المنتشرة في زماننا هذا إلى تنحية فكرة الوطن، وتجنيبها تماما وتغليب فكرة الصراع بين الدين والوطن جهلا منهم بمكانة الوطن من الدين

-شطط بعض الفهوم في تقديم فكرة الوطن على سائر المقدمات التي يدين الإنسان بها.

هذا ما حدا بي إلى وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم، أستلهم هديه العظيم في بيان القول الحق في هذه القضية بين آياته وكلماته، وأسأل الله تعالى أن يلهمني الصواب ويهديني إلى طريق الرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبي ونعم الوكيل.

خطة البحث

أما عن الخطة التي توصلت إلى مقصودي من هذا البحث من خلالها فقد اشتملت على :مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة

المقدمة: واشتملت على البسملة والحمدلة والتصلية على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وسبب اختيار الموضوع، وخطتي في التوصل إلى مقصودي منه.

وأما التمهيد فتناولت فيه سرد بعض الدراسات السابقة على هذه الدراسة في ذات الموضوع، وأهمية هذه الدراسة بين هذه الدراسات.

ثم يأتي الفصل الأول وعنوانه مفهوم الوطن وحدوده وفيه مباحث

المبحث الأول: مفهوم الوطن لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: مرادفات الوطن في اللغة.

المبحث الثالث: حدود الوطن وأقسامه وشروطه ونواقضه.

المبحث الرابع: صور التعبير عن الوطن في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: مأثورات في مكانة الوطن عند الأمم والصالحين.

ثم الفصل الثاني وعنوانه: الوطن بين هدي القرآن وضلالات الأفهام وفيه تسعة مباحث

المبحث الأول: تباين الأفهام في معنى الوطن.

المبحث الثاني: الوطن حق للإنسان.

المبحث الثالث: الوطن نعمة من نعم الله تعالى.

المبحث الرابع: الموازنة بين الدين والوطن.

المبحث الخامس: الحرمان من الوطن عقوبة.

المبحث السادس: الخروج من الوطن قرين القتل والعذاب.

البحث السابع: هجرة الوطن بين الثواب والعقاب.

المبحث الثامن: مشروعية الدفاع عن الوطن

المبحث التاسع: موقف الأنبياء من الوطن

ثم الخاتمة وتتضمن أهم النتائج التي تمخض عنها البحث

التمهيد

وفيه الحديث عن

- الدراسات السابقة على هذه الدراسة.
- أهمية هذه الدراسة بين هذه الدراسات.

أولا: الدراسات السابقة على هذه الدراسة

لم تكن هذه الدراسة التي نحن بصددها هي البادرة الأولى في موضوع الوطن، ومكانته في الشريعة الإسلامية، وإن كانت هي أولى الدراسات التي عنيت بالحديث عن الوطن في القرآن الكريم، فقد احتوت ما يربو على الخمسين آية من القرآن الكريم التي تحدثت تصريحا أو تلميحا في موضوع الوطن، وقد سبقت هذه الدراسة

بجمع غير قليل من المؤلفات التي تحدثت في موضوع الوطن، والتزوع إليه ومكانته من الدين، وأخص من هذه الدراسات ما يلي:

- الحنين إلى الأوطان وهي رسالة للإمام أبي عمرو عثمان بن بحر الجاحظ، ذكر فيها جانبا من كلام العرب في هذا الشأن، وهي رسالة يسيرة لا تتعدى الصفحات، وقد طبعت هذه الرسالة في مصر ضمن مطبوعات مكتبة الأسرة ١٩٩٨م بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

- الأوطان والبلدان، رسالة أيضا في بضع صفحات، للإمام الجاحظ تناول فيها الكلام على بعض البلدان مثل مكة والمدينة ومصر، ونقل كلام العرب في ذلك وهي مطبوعة ضمن مكتبة الأسرة ١٩٩٨م بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

- الحنين إلى الأوطان لأبي طاهر صالح بن جعفر بن عبد الوهاب بن أحمد قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: صنف كتابا في الحنين إلى الأوطان روى فيه عن ٣٣٨ شيوخه.[١]

- التزوع إلى الأوطان للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني[٢].

- الشوق إلى الأوطان لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني.

- الحنين إلى الأوطان لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي.

- المناهل والأعطان والحنين إلى الأوطان لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي.

- مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام للدكتور سليمان بن عبد الله بن محمود أبا خليل.

- حب الوطن من منظور شرعي للدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد.

- الوطن والاستيطان دراسة فقهية للدكتور محمد بن موسى بن مصطفي الدالي.

فهذه بعض المؤلفات التي تناولت الوطن بالدراسة، غير أن أغلبها مفقود والموجود منها لا يفي بالغرض الذي سيقت له هذه الدراسة، وهو الوقوف على آيات الكتاب الكريم التي تصرح أو تلمح بقيمة أو مكانة الوطن في الشريعة الإسلامية، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة.

ثانيا: أهمية هذا البحث بين الدراسات السابقة

تكمن أهمية هذا البحث في:

- يساهم هذا البحث في الوقوف على المكانة الحقيقية للوطن في ضوء القرآن الكريم مقارنا ببعض الفهوم السائدة.
- يساهم هذا البحث في الرد على الفهوم الباطلة تجاه قضية الوطن والتي تجني البشرية جمعاء الثمار المرة لهذه الفهوم.
- يظهر هذا البحث مدى اهتمام الإسلام بقضية الوطن بما أولاه الله تعالى من عناية فائقة في كتابه العزيز في غير آية من آياته، وفي هذا إظهار لقيمة الإسلام، ورسالته السامية التي تدعو البشرية جمعاء إلى عبادة الله تعالى وإعمار الكون.
- يقف هذا البحث على خمسين آية من التنزيل تكلمت عن موضوع الوطن.

وبعد هذا التطواف بين هذه الدراسات التي تناولت موضوع الوطن بالبحث والدراسة هذا أوان الشروع في المقصود بعون الله تعالى المعبود.

الفصل الأول : مفهوم الوطن وحدوده

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: تعريف الوطن لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: مرادفات الوطن في اللغة

المبحث الثالث: حدود الوطن أقسامه وشروطه ونواقضه

المبحث الرابع: صور التعبير عن الوطن في القرآن الكريم

المبحث الأول: تعريف الوطن لغة واصطلاحا:

أولا: التعريف اللغوي

تعددت أقوال اللغويين في معنى الوطن، وكلها تدور حول معنى الإقامة بالمكان والاستقرار فيه.

قال ابن منظور: الوطن المترل تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان، وأوطان الغنم والبقر مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها.

قال الأخطل:

كروا إلى قريتكم تعمرونها كما تكر إلى أوطانها البقر

ومواطن مكة مواقعها وهو من ذلك، وطن بالمكان وأوطن أقام، وأوطنه اتخذه وطنا، يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا، أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيه، وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها أي اتخذتها وطنا، أما المواطن فكل مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطن له كقولك إذا أتيت فوقفت في تلك المواطن فادع الله لي ولإخواني[٣].

قال الرازي في مختار الصحاح :والموطن المشهد من المشاهد

قال الله تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ} [التوبة: ٢٥][٤]

وفي المعجم الوجيز : وطن بالمكان يطن وطنا أقام فيه، وأوطن البلد اتخذه وطنا، وواطنه على الأمر وافقه عليه، والقوم عاش معهم في وطن واحد، توطن أقام،

ويقال توطنت نفسه على الشيء تهيأت وتمهدت، والأرض وبها اتخذها وطنا، استوطن البلد توطنه، والموطن كل مكان أقام به الإنسان، وجمعه مواطن، والوطن مكان إقامة الإنسان ومقره، ولد به أو لم يولد، وجمعه أوطان[٥].

قال الزبيدي في تاج العروس: وطن منزل الإقامة من الإنسان ومحله، واستوطنه إذا اتخذه محلا ومسكنا يقيم فيه[٦].

مما سبق يتبين أن معنى الوطن يدور في كلام اللغويين حول الإقامة بالمكان والثواء فيه، وكأن من توطن مكانا فقد رضيه وطنا يسكن فيه ويستقر بين ربوعه، ولد فيه أو لم يولد.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي

من استعراض كلام اللغويين السابق يمكن أن نستخلص تعريفا اصطلاحيا للوطن، وهذا التعريف هو أن الوطن: المكان الذي يعيش فيه الإنسان ويستقر، سواء ولد فيه أو لم يولد.

وذلك لأن الاصطلاح هنا لا ينبو عن اللغة، إذ اصطلاح جميع الناس في الوطن هو ما ذكرته اللغة من أن موطن الإنسان هو مكان إقامته وثوائه، الذي يحيى على أرضه ويعيش من خيراته ويرتوي من مائه.

قال الجرجاني في التعريفات: الوطن الأصلي هو مولد الرجل، والبلد الذي هو فيه.

ووطن الإقامة: موضع ينوي أن يستقر فيه خمسة عشر يومًا أو أكثر من غير أن يتخذه مسكنًا [٧].

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية قال : وفي الاصطلاح: الوطن هو منزل إقامة الإنسان ومقره ولد به أو لم يولد[٨] .

المبحث الثاني: مرادفات الوطن في اللغة

لم يقتصر اللغويون في التعبير عن الوطن على هذه اللفظة فقط، وإنما تعدوها إلى غيرها، فقد عبروا عن الوطن بالمحلة، والدار، والبلد، فمن تعبيرهم بالمحلة، قال في المعجم الوجيز: حل المكان وبه حلولًا نزل به، ويقال حللت القوم وحللت بهم وحللت عليهم، ويقال فلان حل ببلد كذا يقيم فيه، وفي القرآن الكريم {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد: ١، ٢]، والمحلة منزل القوم وجماعة البيوت، ومجتمع الناس، وجمعه محال(٩).

قال ابن الأثير: الدُّورُ جَمْعُ دَارٍ وَهِيَ المنازلُ المسكونَة والمحالُّ، وَتُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى دِيَارٍ، وَأَرَادَ بِهَا هَاهُنَا القبائلَ، وكُلُّ قبيلةٍ اجْتَمَعَتْ فِي مَحلَّةٍ سُميت تِلْكَ المَحلة دَاراً، وسُمي ساكنُوها بِهَا مَجَازًا عَلَى حَذْفِ المُضاف: أَيْ أَهْل الدُّور(١٠).

كما يعبرون عن الوطن بالدار، قال ابن منظور: وأما الدار فاسم جامع للعرصة والبناء والمحلة، وكل موضع حل فيه قوم فهو دارهم، والدنيا دار الفناء، والآخرة دار القرار، ودار السلام، والدور جمع دار، وهي المنازل المسكونة والمحال، والدور قبائل اجتمعت كل قبيلة في محلة فسميت المحلة دارًا، وسمي ساكنوها بها مجازًا على حذف المضاف أي أهل الدور، والدار البلد، حكى سيبويه هذه الدار نعمت البلد، فأتت البلد على معنى الدار، والدار اسم مدينة سيدنًا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وفي التنزيل العزيز {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ } [الحشر: ٩]قال الزبيدي في تاج العروس: المحل مجمع البناء، وكل موضع حل به قوم فهو دارهم، والدور هي المنازل المسكونة والمحال.

قال الرازي: الدار مؤنثة، قال تعالى: {وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} [النحل: ٣٠] يذكر على معنى المثوى والموضع، كما قال {نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: ٣١] فأنث على المعنى(١١).

المبحث الثالث: حدود الوطن وأقسامه

معلوم أن الوطن هو منزل إقامة الإنسان ومقره سواء ولد به أو لم يولد، وعلى هذا التعريف يمكن أن نقصر الوطن على البلدة أو المحلة التي ولد فيها أو استقر فيها، ولكن هذا غير مراد في الحديث عن الوطن، فإن مفهوم الوطن أوسع من هـذا وإن كان يشمل ما سبقت الإشارة إليه.

فحدود وطن الإنسان تنتهي عند نهاية أموره ومصالحه وشئون حياتـه، الـتي يدور معها وتدور معه، ومن هنا لا يمكن قصر الوطن على البلدة أو المحلة التي ولـد فيها الإنسان، بل يشمل كل بقعة حولها له فيها شأن من شئون حياته لا يستغني عنه، فمكان تعليمه، ومكان زراعته، ومكان عمله، يدخل تحت نطاق وطنه حـتى صـار العرف في هذا الزمان – ومعلوم أن العرف معتبر – أن وطن الإنسان هو البلدة التي يحمل جنسيتها، فهذا مصري، وهذا جزائري، وهذا مغربي، وهكذا.

وقد أشار إلى هذا المعنى صديق حسن خان في الروضة الندية فقال:

وأما بعد انتشار الإسلام واتساع رقعته وتباعد أطرافه، فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر أو الأقطار الأخـرى كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهي في غير قطره أو أقطـاره الـتي رجعـت إلى ولايته، فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، وتجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر فـإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبت فيه ولايته وبايعه أهله كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب، ولا يجب على أهل القطر الآخر طاعته، ولا الدخول تحت ولايته لتباعد الأقطار، فإنه قد لا يبلغ إلى ما تباعد منها خبر إمامها أو سلطانها، ولا يدري من قام منهم أو مات، فالتكاليف بالطاعة والحال هذه تكليف بما لا يطاق، وهذ معلوم لكل من له اطلاع على أحوال البلاد والعباد، فإن أهل الصين والهند لا يدرون بمـن لـه الولاية في أرض المغرب فضلا عن أن يتمكنوا من طاعته، وهكذا العكس، وكـذلك

أهل ما وراء النهر لا يدرون بمن له الولاية في اليمن، وهكذا العكس، فاعرف هـذا فإنه المناسب للقواعد الشرعية والمطابق لما يدل عليه الأدلة، ودع عنك ما يقـال في مخالفته، فإن الفرق بين ما كانت عليه الولاية الإسلامية في أول الإسلام وما هي عليه الآن أوضح من شمس النهار، ومن أنكر هذا فهو مباهـت لا يسـتحق أن يخاطـب بالحجة لأنه لا يعقلها والله المستعان[١٢].

قال محمد رشيد رضا بعد نقل الكلام السابق: وهذ أوجه تفصيل قيل في جواز التعدد للضرورة، وهو اجتهاد وجيه ويشبه عند بعض الأئمة تعدد الجمعة في البلـد الواحد، فالأصل في الشرع أن يجتمع أهل البلد كلهم في مسجد واحـد ...وجـوز التعدد للضرورة بقدرها، سدا لما يعتبره له في حال الاختيار[١٣].

من هذا النقل وسابقه يمكن أن يستخلص أن وطن الإنسان هو المكان الـذي يجب عليه فيه طاعة إمام بعينه، وهو من أعطى البيعة له، فإذا وجبت علـى مسـلم طاعة إمام لقطر بعينه فهذا القطر بأكمله له وطن، وعليه فقد قسم العلماء الوطن إلى أقسام نظرا لما يترتب علي معرفته من أحكام شرعية، تأتيك في الصفحات الآتية.

ثانيا: أقسام الوطن

سبق أن ذكرنا أن الوطن في الشريعة الإسلامية تناط به أحكام كثيرة منها قصر الصلاة، والإفطار في السفر، والإعفاء من الأضحية، وسقوط التكليـف بالجمعـة، وغيرها.

ولأجل هذا قسم الفقهاء الوطن إلى ثلاثة أقسام :

الوطن الأصلي ووطن الإقامة ووطن السكنى أمـا الـوطن الأصـلي فقـال الشرنبلالي: والوطن الأصلي هو الذي ولد فيه وتزوج أو لم يتزوج وقصد التعيش لا الارتحال عنه، ووطن الإقامة موضع نوى الإقامة فيه نصف شهر فما فوقه.

قال: ولم يعتبر المحققون وطن السكنى وهو ما ينوي الإقامة فيـه دون نصـف شهر[١٤].

وقال الرعيني: الوطن هو محل سكنى الشخص بنية التأبيد، وموضع الزوجة المدخول بها وإن لم يكثر سكناه عندها[١٥].

وأما وطن الإقامة فهو ما خرج إليه الإنسان بنية الإقامة مدة قاطعة لحكم السفر، ويسمى بالوطن المستعار، أو بالوطن الحادث.

وهو عند الأحناف موضع نوى الإنسان الإقامة فيه نصف شهر فأكثر، وعند غيرهم خلاف في المدة القاطعة لحكم السفر، وعليه كلام الشرنبلالي السابق.

أما وطن السكنى فهو المكان الذي يقصد الإنسان المقام فيه أقل من المدة القاطعة للسفر[١٦].

المبحث الرابع: شروط الوطن ونواقضه

ويشرط للوطن الأصلي أن يكون مبنيا بناء مستقرا بما جرت العادة بالبناء به، وهذا عند الشافعية والحنابلة والمالكية.

وعند الأحناف هو المكان الذي ولد فيه الشخص أو تأهل فيه أو توطن فيه وطنا أصليا له.

ويشترط في وطن الإقامة نية الإقامة، ومدة الإقامة المعتبرة، واتخاذ مكان الإقامة، وصلاحية المكان للإقامة، وألا يكون هذا المكان وطنا أصليا للمقيم.

أما وطن السكنى فيشترط فيه شرطان وهما عدم نية الإقامة فيه، وعدم الإقامة فيه فعلا المدة القاطعة للسفر، وألا يكون وطنا أصليا للمقيم[١٧].

ثانيا: نواقض الوطن

كما أن لكل قسم من الأقسام السابقة للوطن شروطا يجب أن تتوفر في كل منها، كذلك لكل من هذه الأوطان نواقض تخل به، وفيما يلي نواقض الأوطان الثلاثة:

الوطن الأصلي

ينتقض الوطن الأصلي بالانتقال منه إلى مثله بشرط نقل الأهل منه وترك السكنى فيه، فإذا هجر الإنسان وطنه الأصلي وانتقل عنه بأهله إلى وطن أصلي آخر بشروطه لم يبق المكان الأول وطنا أصليا له، هذا عند الأحناف.

ويرى الحنابلة أن الوطن الأصلي لا ينتقض باتخاذ وطن أصلي آخر.

ولا ينتقض الوطن الأصلي بوطن الإقامة ولا بوطن السكنى لأنه أعلى منهما فلا ينتقض بواحد منها.

وطن الإقامة

ينتقض وطن الإقامة بالوطن الأصلي لأنه فوقه، وينتقض بوطن الإقامة أيضا لأنه مثله، كما ينتقض بالسفر عنه، ولا ينتقض وطن الإقامة بوطن السكنى لأنه دونه.

وطن السكنى

أما وطن السكنى فإنه ينتقض بالوطن الأصلي، وينتقض بوطن الإقامة وبوطن السكنى أيضا.

أما الأولان فلأنهما فوقه وأما الآخر فلأنه مثله. والشيء ينتقض بمثله أو بما هو أقوى منه[١٨].

من استعراض ما سبق من كلام الفقهاء يتبين أن للوطن حقوقا على الإنسان، وإلا لما جعل هذا الوطن أقساما عدة، ولما كان لكل قسم منها شروطا ونواقض، ولما كان أعلى هذه الأوطان الثلاثة أولى بما بعده منها، وفي الصفحات المقبلة يكشف لنا النظر في كتاب الله تعالى عن هذا.

المبحث الخامس: صور التعبير عن الوطن في القرآن الكريم

لم يرد التعبير عن الوطن في القرآن الكريم بلفظ الوطن إلا في آية واحدة هي قوله تعالى{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ...} [التوبة: ٢٥]وما خلا هذه الآية جاء التعبير عن الوطن بثلاثة ألفاظ هي لفظ الدار، ولفظ السكن، ولفظ البيت.

فقد ورد لفظ الدار مرادا به الوطن في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين موضعا، وورد لفظ المسكن مرادا به الوطن في القرآن الكريم في أحد عشر موضعا، وورد لفظ البيت مرادا به الوطن في القرآن الكريم في أربعة مواضع، وفي الصفحات الآتية إيراد للآيات المراد بها الوطن بلفظ الدار، ثم بلفظ السكن، ثم بلفظ البيت.

أولا: لفظ الدار

ورد لفظ الدار في القرآن الكريم مرادا به الوطن في ثلاث وعشرين موضعا:

١- قال الله تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُون} [البقرة: ٨٤]

٢- قال الله تعالى { ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: ٨٥]

٣- قال الله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٤٦]

٤- قال الله تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [البقرة: ٢٤٣]

٥- قال الله تعالى {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ } [آل عمران: ١٩٥]

٦- قال الله تعالى {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} [النساء: ٦٦]

٧- قال الله تعالى {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [الأعراف: ٧٨]

٨- قال الله تعالى {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ } [الأعراف: ٩١]

٩- قال الله تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط} [الأنفال: ٤٧]

١٠- قال الله تعالى {فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ } [هود: ٦٥]

١١- قال الله تعالى {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود: ٦٧]

١٢- قال الله تعالى {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود: ٩٤]

١٣- قال الله تعالى {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ

جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَاد} [الرعد: ٣١]

١٤- قال الله تعالى {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُول} [الإسراء: ٥]

١٥- قال الله تعالى {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } [الحج: ٤٠]

١٦- قال الله تعالى {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ} [القصص: ٨١]

١٧- قال الله تعالى {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين} [العنكبوت: ٣٧]

١٨- قال الله تعالى{ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} [الأحزاب: ٢٧]

١٩- قال الله تعالى{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} [الحشر: ٢]

٢٠- قال الله تعالى{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحشر: ٨]

٢١- قال الله تعالى{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]

٢٢- قال الله تعالى{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]

٢٣- قال الله تعالى{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الممتحنة: ٩][١٩].

ثانيا: لفظ المسكن

ورد التعبير عن الوطن بلفظ المسكن في القرآن الكريم في أحد عشر موضعا

١- قال الله تعالى{وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ } [الأعراف: ١٦١]

٢- قال الله تعالى{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٤]

٣- قال الله تعالى{وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم: ١٤]

٤- قال الله تعالى {وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ} [إبراهيم: ٤٥]

٥- قال الله تعالى{ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} [طه: ١٢٨]

٦- قال الله تعالى{ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ١٣]

٧- قال الله تعالى{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص: ٥٨]

٨- قال الله تعالى{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ } [العنكبوت: ٣٨]

٩- قال الله تعالى{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ} [السجدة: ٢٦]

١٠- قال الله تعالى{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ: ١٥]

١١- قال الله تعالى{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [الأحقاف: ٢٥][٢٠].

ثالثا: لفظ البيت

ورد التعبير عن الوطن بلفظ البيت في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

١- قال الله تعالى {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء: ١٠٠]

٢- قال الله تعالى {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} [الأنفال: ٥]

٣- قال الله تعالى {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٨٧]

٤- قال الله تعالى {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [النمل: ٥٢][٢١].

المبحث السادس: مأثورات في حب الوطن

الذي يستعرض تاريخ البشرية في أقوالها واعتقاداتها يجد أن الله تعالى أودع فيها فطرة ميزتها عن سائر المخلوقات، وأودع في هذه الفطرة ركائز عديدة عاش بها الإنسان في هذه الحياة، ومن هذه الركائز حب الوطن.

فحب الوطن فطرة فطر الله تعالى الخلق عليها ظهرت في الإنسان لتميزه بالعقل والتكليف، وكشف عنها في سائر مخلوقات الله تعالى {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: ٣٠]

فلا تجد في بني البشر إلا وهو مفطور على حب وطنه، لا يخرج عن هذه الفطرة إلا شاذ، وكم ظهر على مر الدهر وكر العصر في كتابات العلماء وما أثر عنهم من نقول عن بعض أهل هذه الفطر المستقيمة.

وفي السطور الآتية نقف مع بعض هذه المأثورات التي نقلت إلينا عبر تراثنا وتصلح للتقدمة بين هذه الدراسة التي نحن بصددها.

الوطن عند الأمم

هذا بعض ما أثر في حب الوطن عن بعض الأمم:

قال العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة.

وقال الهند: حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لأن غذاءك منهما وغذاؤهما منه.

وقالت العرب: حماك أحمى لك وأهلك أحفى بك.

وكانت العرب إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع، ومن هذا أخذ الطائي قوله:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ...وحنينه دوما لأول منزل

وقيل لبعض الأعراب: ما الغبطة؟ قال الكفاية مع لزوم الأوطان والجلوس إلى الإخوان، قيل: فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان.

الوطن عند الحكماء

وهذا بعض ما أثر في حب الوطن عن الحكماء:

قالت الفلاسفة: فطرة الرجل معجونة بحب وطنه.

قال بقراط: يداوى كل عليل بعقاقير أرضه، فإن الطبيعة تتطلع لهوائها وتـــترع إلى غذائها .

وقال أفلاطون: غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها .

وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم أرضه كما تنبت الحبة ببل القطر.

وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يحنو عليه.

ما أثر عن أناس في حب الوطن

قال أحدهم: الكريم يحن إلى جنابه، كما يحن الأسد إلى غابه.

وقال آخر: تربة الصبا تغرس في القلب حرمة وحلاوة، كما تغرس الوالدة في القلب رقة وحفاوة.

وقال آخر: إذا كان الطائر يحن إلى أوكاره، فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه.

وقال آخر: ميلك إلى مولدك من كريم محتدك.

وقال آخر: عسرك في دارك أعز عليك من يسرك في غربتك.

لذلك قال ابن الزبير: لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبد الرزق.

وقال آخر: يحن اللبيب إلى وطنه كما يحن النجيب إلى عطنه.

وقال: كما أن لحاضنتك حق لبنها كذلك لأرضك حرمة وطنها.

وهؤلاء الملوك والجبابرة الذين لم يفتقدوا في اغترابهم نعمة، ولا غادروا في أسفارهم شهوة حنوا إلى أوطانهم، ولم يوثروا على تربهم ومساقط رؤوسهم شيئا من الأقاليم المستفادة بالتغازي، والمدن المغتصبة من ملوك الأمم.

وهؤلاء الأعراب مع فاقتهم وشدة فقرهم يحنون إلى أوطانهم ويقنعون بتربهم ومحالهم(٢٢).

وقيل :لولا حب الوطن لخرب بلد السوء.

وكانت العرب إذا سافرت حملت معها من تربة بلدها ما يستنشق ريحه وتطرحه في الماء إذا شربته من كثرة حبها لأوطانها.

ولم قارب الإسكندر الوفاة أوصى أن تحمل جثته في تابوت من ذهب إلى بلد الروم حبا لوطنه.

ولما قارب يوسف عليه السلام الوفاة أوصى أن تحمل جثته إلى تربة آبائه فلما مات منع أهل مصر أقاربه من ذلك فلما بعث موسى عليه السلام وأهلك الله فرعون نقله موسى عليه السلام إلى تربة آبائه(٢٣).

الفصل الثاني
الوطن بين هدي القرآن وضلالات الأفهام

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: تباين الأفهام في معنى الوطن

المبحث الثاني: الوطن حق للإنسان

المبحث الثالث: الوطن نعمة من نعم الله تعالى

المبحث الرابع: الموازنة بين الدين والوطن

المبحث الخامس: الحرمان من الوطن عقوبة

المبحث السادس: الإخراج من الوطن قرين القتل والعذاب

المبحث السابع: هجرة الوطن بين الثواب والعقاب

المبحث الثامن: مشروعية الدفاع عن الوطن

المبحث التاسع: موقف الأنبياء من الوطن

المبحث الأول: تباين الأفهام في معنى الوطن

فشا في المجتمع المسلم في الآونة الأخيرة أناس من بني جلدتنا لكنهم أشد وبـــاء من الأعداء على ديننا وعقيدتنا ووطننا، بحسن نية تارة و بسوء نية تارة أخرى، فهم كالسوس الذي يتخلل العظام داخل الجسد الواحد، أو قل كالســـرطان الـــذي إذا ابتلي به الجسم صعب على الأطباء استئصاله، إلا من أعطي الحكمة وتذرع بالصـــبر وتفنن في العلم، هؤلاء رأوا الباطل حقا ورأوا الحق باطلا، واختلط عليهم الأمر فدار بأدمغتهم كما تدور الخمر بدماغ صاحبها.

وانقسم هؤلاء الناس إلى فرقتين متباينتين كلاهما باين الحق وعادى الصـــواب، أولى هاتين الفرقتين رأت أن الوطن لا يعدو أن يكون حفنة تراب، أو صنما يعبد من دون الله تعالى، ورأوا أن جنسية المسلم هي عقيدته، وعقيدته فقط، وصالوا في هـــذا الأمر وجالوا وشرقوا وغربوا، وتكلموا بما يكاد يذهب لب العاقل.

وثانيتهما رأت أن الوطن هو الأصل والأساس وما وراءه تابع، فأعلت من قدره ورفعت من قيمته إلى مكانة ليست له في الحقيقة، فرفعوه فوق العقيدة وفوق الدين، فهو عندهم الأصل والدين والعقيدة تابعان له.

"وهما رؤيتان قاصرتان لدوائر الانتماء وأصول الهوية المصرية العربية الإسلامية على الرغم من تناقض منطلقات كل منهما، فالأولى رؤية دينية ترى الوطنية ولاء لغير الله تعالى ورسوله والمؤمنين، وترى القومية العربية انتماء مصطنعا لا أصل له، والأخوة الإنسانية مدعاة لتمييع التمايز العقدي والاختلاف الديني، وربما وقع هذه الرؤية طعنها البعيد ما جد من فكر علماني يرمي إلى إعادة تأسيس الهوية والانتماء خارج دائرة المرجعية الحضارية الأصلية ومن قبلها الإسلام برؤيته وبمبادئه الجامعة.

ولكن على وقع رد العقل الديني النافي لمعاني الوطنية والقومية والإنسانية في نفس فخ الغلو والتجاوز الأعمى، وليس الاستيعاب البصير الذي مارسته التجربة الحضارية الإسلامية عبر تاريخها، ومن ناحية أخرى ظهرت رؤى تزعم أن الحديث عن رابطة دينية في القرن العشرين سخافة أو كارثة أو تخلف، وأن العصر والمعاصرة لا يسمحان إلا بالرابطة على أساس التراب والإقليم والقطر فكما أن انجلترا للإنجليز وفرنسا للفرنسيين فيجب أن تكون مصر للمصريين فقط وليس إلا[٢٤]"

وفي السطور الأتية استعراض لبعض أقوال هؤلاء دون إفراط أو تفريط

قال الأستاذ سيد قطب في تفسير قول الله تعالى{{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا} [النساء: ٧٥]

ولابد من لفتة هنا إلى التصور الإسلامي للبلد والأرض والوطن، إذ هذه القرية الظالم أهلها التي يعدها الإسلام – في موضعها ذاك – دار حرب يجب أن يقاتل المسلمون لاستنقاذ المسلمين المستضعفين منها هي مكة ، وطن المهاجرين الذين يدعون هذه الدعوة الحارة إلى قتال المشركين فيها ويدعو المسلمون المستضعفون هذه الدعوة الحارة للخروج منها.

إن كونها بلدهم لم يغير وضعها في نظر الإسلام حين لم يقم فيها شريعة الله ومنهجه ،وحين فتن فيها المؤمنون عن دينهم وعذبوا في عقيدتهم، بل اعتبرت بالنسبة لهم هم أنفسهم دار حرب لا يدافعون عنها، وليس هذا فحسب بل هم يحاربونها لإنقاذ إخوتهم المسلمين منها.

إن راية المسلم التي يحامي عنها هي عقيدته، ووطنه الذي يجاهد من أجله هو البلد الذي تقام شريعة الله فيه، وأرضه التي يدافع عنها هي دار الإسلام، التي تتخذ المنهج الإسلامي منهج حياة، وكل تصور آخر للوطن هو تصور غير إسلامي تنضح به الجاهليات ولا يعرفه الإسلام(٢٥).

ثم يعود أيضا في تفسير قول الله تعالى "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق.." فيقول: وينظر الإنسان من هذه القمة السامقة على السفوح الهابطة في جميع الأمم على مدار الزمان فيراها هنالك في السفوح، ويرى بين تلك القمة السامقة والسفوح الهابط صخورا متردية هنا وهناك من الدهاء، والمراء، والسياسة، والكياسة، والبراعة، والمهارة، ومصلحة الدولة، ومصلحة الوطن، ومصلحة الجماعة، إلى آخر الأسماء والعنوانات، فإذا دقق الإنسان فيها النظر رأى من تحتها الدود(٢٦).

ويواصل الأستاذ سيد كلامه كواحد ممن يمثلون التيار الأول فيقول" إن الناس يقيمون لهم اليوم آلهة يسمونها القوم، ويسمونها الوطن، ويسمونها الشعب، إلى آخر ما يسمون، وهي لا تعدو أن تكون أصناما غير مجسدة كالأصنام السائدة التي كان يقيمها الوثنيون، ولا تعدو أن تكون آلهة تشارك الله في خلقه، وينذر لهم الآبناء كما كانوا ينذرون للآلهة القديمة يقدمون لهم كالذبائح التي كانت تقدم في المعابد على نطاق واسع...إلى أن يقول: إن الله سبحانه يأمر أن تكون رابطة التجمع هي العقيدة، ولكن القومية أو الوطن يأمر باستبعاد العقيدة من قاعدة التجمع، أن يكون الجنس أو القوة هو القاعدة فمن هو الإله الذي نتبع أوامره أهو الله سبحانه أم هي الآلهة المدعاة(٢٧).

ثم يعلنها صريحة في كتابه معالم على الطريق فيقول: بهذه النصاعة الكاملة وبهذا الجزم القاطع جاء الإسلام جاء ليرفع الإنسان، ويخلصه من وشائج الأرض والطين، ومن وشائج اللحم والدم، فلا وطن للمسلم إلا الذي تقام فيه شريعة الله، فتقوم الروابط بينه وبين سكانه على أساس الارتباط في الله، ولا جنسية للمسلم إلا عقيدته التي تجعله عضوا في الأمة الإسلامية في دار الإسلام، ولا قرابة للمسلم إلا التي تنبثق من العقيدة في الله فتصل الوشيجة بينه وبين أهله في الله، ليست قرابة المسلم أباه وأمه وأخاه وزوجه وعشيرته ما لم تنعقد الآصرة الأولى في الخالق فتتصل من ثم بالرحم(٢٨).

هكذا نري الأستاذ سيد قطب يلغي كل الصلات الواقعة بين البشر ما دامت رابطة العقيدة غير موجودة.

وهو فهم مغلوط يخالف الهدي القرآني الذي أضاء في كثير من آيات الكتاب الكريم التي تتحدث عن موضوع الوطن وعلاقة الإنسان به.

وقد تعددت مسميات هذه الطائفة التي أوردنا من كلامها كلاما للأستاذ المرحوم سيد قطب، ولسنا في معرض تعديد الأسماء، فمنهج ديننا وعقيدتنا لا ينظر إلى القائل بقدر ما ينظر إلى القول، فنحن لا نحاكم القائل فقد أفضى إلى ربه تعالى وإنما نحاكم أفكارا وأقوالا ومذاهب ملتوية لبست على الناس عقيدتهم واجتالتهم عن دينهم وهدي قرآنهم وسنة نبيهم.

هذه الفرقة وضعت الوطن عن مكانه ومكانته حتى إنه عندها لا يمثل شيئا مذكورا.

وطائفة أخرى رأت أن الوطن أسمى ما يمكن أن يدافع الإنسان عنه، ورفعته على كل شيء حتي وصل الأمر أن تعلي هذه الطائفة من قدره فوق قدر الدين والعقيدة، وأخذ هؤلاء ينظرون ويشرحون ويفسرون ويكتبون، وغفلوا عن أن هذا مجانب للصواب، وأن الفضيلة بين رذيلتين فلا إفراط ولا تفريط.

ومن كلام هذه الطائفة نكتفي بنقل كلام الأستاذ زكي نجيب محمود في مقال كتبه قال فيه:

ما هي المعاني الكبرى التي يجيب بها المصري حين يسأل من أنت؟ فعند هذه النقطة يبدأ الإشكال، فأول الإجابة بديهي وسهل لكن الصعوبة التي كثيرا ما يثور حولها الخلاف عندما نريد أن تمتد بعد تلك الخطوة الأولى بضع خطوات، فأنا أقرر عن نفسي – أنا كاتب هذه السطور – أنني لم أتردد منذ الوهلة الأولى في أن أرتب خطوات الانتماء بعد مصريتي بذكر عروبتي فإسلامي، بحيث أقول أنا مصري عربي مسلم، وذلك على ترتيب يمليه المنطق... إلى أن قال: أسبقية الولاء الوطني على الشعور الديني أمر لا جديد فيه، فوقائع التاريخ تقدم لنا ما شئنا من أمثلة، وأبدأ بمثلين أحدهما مأخوذ من الحياة السياسية، والثاني مأخوذ من الحياة العلمية، وكلاهما من التاريخ الإسلامي أما أول المثلين فمشكلة الشعوبية التي ثارت في القرن الثاني الهجري، وهي تعني أن كلا من الشعبين العربي والفارسي برغم أنهما كانا يعيشان تحت مظلة الإسلام إلا أن كلا منهما أخذ يفاخر بمزايا قومه على القوم الآخرين، وأما المثل الثاني فهو أن علماء اللغة رغم أنهم كانوا يدرسون اللغة لفهم القرآن الكريم إلا أنهم انقسما إلى مدرستين مختلفتين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، فعلى الرغم من أن موضوع الدراسة علمي بحت إلا أن الروح القومية قد تسللت إلى عملهم من حيث لا يشعرون ...إلى أن قال: إنه في الحالة السوية للبناء الاجتماعي

يكون هناك مبثوثا في صلب الحياة نفسها عدة انتماءات للفرد الواحد ، منها انتماء لمصريته، ومنها انتماء لعقيدته الدينية، وعندئذ لا تظهر فكرة الأولوية بين تلك الانتماءات لأنه لا يكون ثمت داع لظهورها، لكن ذلك البناء الاجتماعي نفسه قد يصيبه خلل ما مما يستدعي أن تنشأ المشكلة بأي الولاءين يبدأ المواطن إذا ما جاء الموقف الذي يضطره إلى اختيار وهنا أقول: إن الأولوية تجب أن تكون للانتماء القومي[٢٩].

وعلى هذا المنحى درج كثير من الكتاب والباحثين من تقديم الوطن على الدين مقابلة للغلو الأول بغلو مثله، ولسنا في معرض السرد لأسمائهم وإنما حسبنا أنا وقفنا على هذه الفكرة لنتولى الرد عليها من خلال استجلاء المعاني القرآنية التي تتحدث في هذا الشأن،

وفي السطور الآتية وقفة مع هاتين الطائفتين إحداهما في إفراطهما، والثانية في تفريطها، نستجلي الحقيقة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الثاني: الوطن حق للإنسان

أصَّل الإسلام لمسألة حب الوطن والانتماء إليه والذود عنه والعمل على رفعته بكل السبل المشروعة في العديد من الآيات القرآنية الكريمة لتحيا الأمة عزيزة الجناب مرهوبة الجانب من أعدائها الطامعين المتربصين، ولتحمي الحق الذي كلفها الله تعالى بحمله، والعمل به ودعوة الناس جميعا إليه .

ومن هذا التأصيل أن جعل الله تعالى الوطن حقا للإنسان يمتن عليه سبحانه بالأمن والأمان فيه ويحثه على الدفاع عنه وبذل النفس والنفيس في سبيل رفعته فهو مركوز في فطرته تغذى بلبانه وشرب ماءه على أرضه يعيش وتحت سمائه يستظل عزته من عزته ورفعته من رفعته دونه لا تستقيم له حياة ولا يهنأ له عيش.

فرأينا الكثير من آيات القرآن الكريم تصرح تارة وتلمح أخرى إلى وجوب اتخاذ الإنسان وطنا يحيا فيه ومتبوأ يتبوأ ظلاله ومكانا يعبد الله تعالى فيه يأمن فيه على نفسه وماله وعرضه ويستطيع فيه أن يقيم شعائره ويرضي فيه ربه.

ومن هذه الآيات الكريمة:

الآية الأولى: قال الله تعالى{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٨٧]

جعل الله تعالى في هذه الآية الكريمة اتخاذ الوطن وحيا أوحاه الله تعالى إلى موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام، ووقره في قلبيهما حتى يستطيعا إقامة الشعائر الدينية التي أولاهما الله تعالى وأمتهما بها.

قال الإمام الخازن في تفسير هذه الآية: أي اتخذوا لقومكما بمصر بيوتا للصلاة فيها، يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا إذا اتخذه مباءة أي وطنا، والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون إليها للصلاة والعبادة[٣٠].

وإلى هذا المعنى أشار الإمام البغوي في تفسيره فقال: يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا ومضجعا، إذا اتخذه، وبوأته أنا، إذا اتخذته له[٣١].

الآية الثانية: قال الله تعالى{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} [البقرة: ٨٤]

وفي هذه الآية الكريمة سوى الله تعالى بين حق الإنسان في الحياة وحرمة الاعتداء عليه في أي جانب من جوانبها، وبين حق المكث في الوطن وعدم الإخراج منه، ومن هنا أخذ الميثاق على بني إسرائيل.

وإلى هذا المعنى أشار السمرقندي بقوله:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ}في الآية دليل على أن الإخراج من الدار يترل منزلة القتل، لأن الله تعالى قرن الإخراج من الديار بالقتل، حيث قال تعالى {تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ} [البقرة: ٨٥][٣٢].

قال الجاوي: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُم} أي واذكروا أيها اليهود المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وسلم وقت أن أخذنا الميثاق على آبائكم في التوراة {لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُم} أي لا يقتل بعضكم بعضا{وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُم} أي لا يخرج بعضكم بعضا من منازلكم يا بني قريظة والنضير، ثم أقررتم بوجوب المحافظة على الميثاق وأنتم تشهدون أي تعلمون ذلك[٣٣].

الآية الثالثة: قال الله تعالى{ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة: ٨٥]

وفي هذه الآية الكريمة يأتي التصريح بحرمة الإخراج من البيوت والأوطان بغير حق، مثل حرمة قتل النفس بغير حق أيضا، وإن كان الحكم في الثانية معلوما فقد صرحت الآية بحرمته في الأولى بقوله تعالى{ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ } يعني أنه كما لا يجوز لإنسان أن يزهق روح إنسان ظلما بغير حق، فكذلك لا يجوز له أن يخرجه من وطنه بدون داع يدعو إلى ذلك، لأن للإنسان حقا في وطنه كما أن له حقا في حياته.

قال الواحدي:{ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ}أراد يا هؤلاء {تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ}يقتل بعضكم بعضا {وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ}لتعاونون على أهل ملتكم بالمعية والظلم {وَإِنْ يَأْتُوكُم} مأسورين يطلبون الفداء فديتموهم {وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُم} [البقرة: ٨٥] أي وإخراجهم من ديارهم محرم عليكم {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ} يعني فداء الأسير {وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} يعني القتل والإخراج والمظاهرة {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}فضيحة وهوان في الحياة الدنيا وقوله{فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ} [البقرة: ٨٦] معناه في الدنيا والآخرة، وقيل هذه الحالة مختصة بالآخرة"[٣٤]

قال القشيري في تفسير هذه الآية الكريمة{وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ} [البقرة: ٨٥] أي كما تراعون بالفداء عنهم حقوقهم فكذلك يقتضي عليكم كف أيديكم عنهم وترك إزعاجهم عن أوطانهم فإذا قمتم ببعض ما يجب عليكم فما الذي

يقعدكم عن الباقي حتى تقوموا به كما أمرتم أما علمتم أن من فق بين ما أمر به فآمن ببعض وكفر ببعض فقد حبط بما ضيعه أجر ما عمله(٣٥).

الآية الرابعة: قال الله تعالى{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } [الحج: ٤٠]

في هذه الآية إظهار لعلة جواز المقاتلة والقتال وتشريع الجهاد في سبيل الله تعالى وقد جعلت الآية الكريمة من حيثيات ذلك الإخراج من الأوطان بغير حق لما فيه من الظلم بتجريد الإنسان من حقه الأصيل في العيش في وطن آمن يحفظ عليه كرامته وعرضه .

قال الشيخ أبو زهرة في تفسير هذه الآية الكريمة: { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ} بيان لظلمهم إذ إن الخروج من الديار والبعد عن الأوطان في ذاته ظلم وإذا كان بغير سبب مسوغ أو حق مبرر يكون الظلم ولذا ذكر هذا الإثم {بِغَيْرِ حَقّ} أي بغير مبرر إلا أن يكون ظلما لأنه إذا لم يسوغ أو يبرر فهو ظلم لا محالة وقد أكد ذلك الظلم وأنه بغير حق بل لأمر غير الحق {إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّه} [الحج: ٤٠] (٣٦).

ولا يفوت صاحب التحرير والتنوير أن يشير إلى هذا الحق فيقول: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ...} [الحج: ٤٠] وفي إجراء هذه العلة عليهم إيماء إلى أن المراد بالمقاتلة الأذى وأعظمه إخراجهم من ديارهم كما قال تعالى {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة: ١٩١]و{بِغَيْرِ حَقّ}أي خرجوا متلبسين بعدم الحق عليهم الموجب إخراجهم فإن للمرء حقا في وطنه ومعاشرة قومه وهذا الحق ثابت بالفطرة لأن من الفطرة أن الناشئ في أرض والمتولد بين قوم فهو مساو لجميع أهل ذلك الموطن في حق القرار في وطنهم وبين قومهم بالوجه الذي ثبت لجمهورهم في ذلك

المكان متقادمة أو قهر غلبة لسكانه كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "إنها بلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام" ولا يزول ذلك الحق إلا بموجب قرره الشرع أو العوائد قبل الشرع كما قال زهير

فإن الحق مقطعه ثلاث...يمين أو نفار أو جلاء

فمن ذلك في الشرائع التغريب والنفي ومن ذلك في قوانين أهل الجاهلية الجلاء والخلع وإنما يكون ذلك لاعتداء يعتد به المرء قومه لا يجدون له مسلكا من الردع غير ذلك(٣٧).

وبعد هذا التطواف في كلام المفسرين حول الآيات الكريمة السابقة وبيان أن للإنسان حقا في وطنه تبقى لمحة مهمة نستطيع أن نقرأها من كل الآيات الواردة في الحديث عن الوطن بالدار أحيانا وبالمسكن أحيانا وبالبيت أحيانا أخرى وفي كل موطن من هذه المواطن يسوق الكلمة من هذه الكلمات الثلاثة مضافة إلى الضمير "هم" أو "كم" فيقول "مساكنكم" "ديارهم" "بيوتهم" وفي هذا إشارة صريحة إلى أن الإضافة هنا تفيد معنى اللام أي ديار وبيوت ومساكن هي لهم وسواء كانت اللام للملك أو للاستحقاق أو للاختصاص ففيها ثلاثتها أن الوطن حق للإنسان والله تعالى أعلم

وقد سبق سرد تفصيلي للآيات الكريمة في هذا الشأن في البحث الخامس من الفصل الأول.

المبحث الثالث: الوطن نعمة من نعم الله تعالى

من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان استقراره في بلده آمنا على نفسه وأهله عابدا ربه سبحانه مطيعا لخالقه وقد جسد النبي هذا المعنى عندما اختصر الدنيا في ثلاثة إحداها الأمن في الوطن فقال صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا(٣٨).

فانظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم الأمن في الوطن ركنا ركينا من أركان سعادة المرء وراحة باله في هذه الحياة وما هذا إلا لأن الوطن هو النعمة القريبة للإنسان لأنه مستقر حياته كرامته من كرامته وعزته من عزته به يعرف وإليه ينتسب ومن ذا الذي يستطيع أن يحيا حياة هانئة بلا وطن ويكفي أن الإنسان إذا أردت أن تجرح كرامته عيرته بأن لا وطن له.

ففي الوطن يأمن الإنسان على نفسه وعرضه وماله ويستطيع أن يقيم دينه إذ لا نفس ولا عرض ولا مال ولا دين بال وطن وقد أولى القرآن الكريم عناية فائقة لهذا المنحى من التعامل مع الوطن في آيات بينات مضيئة منه.

الآية الأولى: قال الله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت: ٦٧] ففي هذه الآية الكريمة يظهر الله تعالى تمام منته على عباده هؤلاء حيث أمن لهم وطنا يعيشون فيه ويأمنون فيه على أعراضهم وأموالهم وأنفسهم في الوقت الذي يحرم من هذه النعمة من حولهم من الناس فكان الواجب عليهم في هذه الحال هو الشكر والرضا لا الكفران والجحود.

قال الإمام الزمخشري في تفسير هذه الآية{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا} [العنكبوت: ٦٧]كان العرب حول مكة يغزون ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة مستقرون فيها آمنون لا يعتدى عليهم مع قلتهم وكثرة غيرهم فذكرهم الله تعالى بهذه النعمة الخاصة بهم، ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله مكفورة عندهم(٣٩).

وقال الشيخ طنطاوي رحمه الله مشيرًا إلى هذا المعنى: والمعنى أجهل هؤلاء المشركون قيمة النعمة التي هم فيها، ولم يدركوا ويشاهدوا أنا جعلنا بلدهم مكة

حرمًا آمنًا يأمنون فيه على أنفسهم وعلى أموالهم وعلى أعرافهم والحال أن الناس من حولهم يقتل بعضهم بعضًا ويعتدي بعضهم على بعض بسرعة وشدة(٤٠).

الآية الثانية : قال الله تعالى: {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [القصص: ٥٧]

ففي هذه الآية الكريمة أيضًا منة من منن الله تعالى على أهل مكة بأن مكن الله لهم تعالى وطنًا آمنًا يحبون فيه حياة كريمة يجبى إليه ثمرات كل شيء وفي هذا رد لمعاذيرهم التي أوحاها إليهم الشيطان بأنهم إذ آمنوا معه سوف يتخطفون من أرضهم. وفي معاذيرهم هذه وإن كانت كاذبة بيان لقيمة الوطن التي يحملون عنه وفي رد الله عليهم بيان أيضًا لكون الوطن نعمة وعطية من الله تعالى.

قال الشيخ طنطاوي، فهذه الآية الكريمة تقص علينا لونًا من الاعتذارات الواهية التي تذرع بها المشركون عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم، يدعوهم إلى الدخول في الإسلام، وقد رد الله تعالى عليهم بقوله:{أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا} [القصص: ٥٧] [القصص: ٥٧]والمعنى كيف اعتذر هؤلاء المشركون بهذه المعاذير الكاذبة وهم يعلمون حق العلم أننا بفضلنا وإحساننا قد جعلنا لهم حرمًا ذا أمان يعيشون من حوله، وتأتيهم خيرات الأرض من كل مكان، وقد فعلنا ذلك معهم وهم مشركون، فكيف نعرضهم للخطف والعدوان عليهم وهم مؤمنون(٤١).

قال الإمام الزمخشري مشيرًا إلى نعمة الله تعالى عليهم بالأمن في الوطن: كان العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون، وهم آمنون في حرمهم لا يخافون، وبحرمة البيت هم قارون، بواد غير ذي زرع والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب(٤٢).

الآية الثالثة: قال الله تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢]

في هذه الآية الكريمة يظهر الله تعالى مدى نعمته تعالى على أهل قرية منحها الأمن والأمان، فهي في أمان واطمئنان قارة عينها، هانئة حياتها يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، فلما بدلت وكفرت وبطرت النعمة وملت العافية ما كان إلا أن سلبهم الله تعالى هذه النعمة العظيمة، وفي قوله تعالى: {فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّه} ما يظهر أن الوطن نعمة عظيمة من نعمه تعالى، قال البيضاوي في تفسير هذه الآية {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَة} [النحل: ١١٢] أي جعلها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته(٤٣).

وقال الرماني: وقد تضمنت الآيات البيان عما توجبه الإنابة بالرجوع إلى الحق والصبر عليه وجهاد النفس فيه، ومجانبة المخالفين له من المغفرة والرحمة والفوز بثواب الجنة يوم تقع التوفية بالجزاء بحسب الطاعة والمعصية بعدما أقيمت الحجة وأزيحت العلة (٤٤).

وإلى هذا المعنى أشار الإمام القاسمي في محاسن التأويل(٤٥).

من كل ما سبق يتضح أن القرآن الكريم قد أولى الوطن عناية فائقة فجعله نعمة يمتن بها على عباده، يحفظه عليهم إذ هم حفظوا النعمة بشكرها، ويزيلها عنهم إن هم كفروها بالمعاصي.

المبحث الرابع: الموازنة بين الدين والوطن

سبق في المبحث الأول أن تحدثت عن تباين الأفهام في مكانة الوطن وقيمته، وبينت أن مدخل الغبن في معرفة قيمة الوطن هو الغبن في أيها أولى الدين أو الوطن؟ وبينت أن الغلاة في هذا الأمر قد انقسموا إلى طائفتين رئيستين: إحداهما ترى أن الوطن لا يعدو أن يكون حفنة تراب.

والثانية ترفع الوطن فوق كل مقدس، ولا ترى أن شيئًا كائنًا ما كان يسبقه ولو كان هذا الشيء هو الدين.

فكان لزامًا في هذا المبحث أن نتكلم عن الموازنة بين الانتماء للدين والانتماء للوطن.

والحقيقة أنه لا تعارض ولا تناقض بين الانتماء للدين والانتماء للوطن في الإسلام، لأن الانتماء إلى الوطن ومحبته والزود عنه منبعه ومنشؤه الانتماء إلى الإسلام، فالانتماء للوطن يستمد قواعده من الشريعة وعلى أساسها، فهو انتماء وولاء بحكم الشرع أولًا، ثم بحكم الفطرة وسنن الله في الخلق ثانيا، فالوطن جزء من كيان الأمة الإسلامية ومحبته والولاء له والانتماء إليه مما تقتضيه الضرورة، وتدعو إليه الفطرة وتعاليم الشريعة الغراء، لأن الحفاظ على الوطن وصيانته قيمة إسلامية رفيعة.

وليس هناك حرج في تعدد الانتماءات شريطة ألا يطغى واحد منها على باقيها، فكما أنه بحكم العقل ليس هناك من تعارض بين محبة الرجل لأبيه ومحبته لأمه، كذلك ليس هناك تعارض بين انتماء الإنسان لأسرته، وانتماء الإنسان لعائلته، وبلدته، ودينه، فهي دوائر متداخلة بعضها أعم من بعض، فانتماء الإنسان لدينه لا يعارض مجال انتمائه لوطنه، وانتماؤه لوطنه لا يعارض بحال انتماءه لأسرته وبيته وهكذا.

فلقد دعا القرآن الكريم إلى الانتماء للأسرة بقوله : {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ } [الأحزاب: ٥]كما بين قيمة الروابط التي تكون بين أولى الأرحام بقوله : {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} [الأنفال: ٧٥]

كذلك بين القرآن في الكثير من الآيات قيمة انتماء الإنسان لوطنه ولدينه، فهذه دوائر متعددة، وليس هناك تعارض بين هذه الدوائر ،كما لا يمكن فصل بعضها عن بعض أو قصر انتماء الشخص إلى واحدة من تلك الدوائر.

فالمسلم يحب أسرته، ويحب بلدته، ويحب وطنه، ويحب دينه، وإذا كان الدين مقدمًا على جميعها فهو لا يلغيها من الوجود، بل يحوطها بالعناية والرعاية، ويثيب على تحقيقها، ويعلي من قدر محققيها.

محبة المنعم مقدمة على محبة النعمة

وإذ قد تبين لك عن قليل أنه لا تعارض بين محبة الوطن والانتماء له، والذود عنه ومحبة الدين والانتماء له والذود عنه، ولكن الذي ينبغي أن يكون مركوزًا في الفطرة أن محبة المنعم سبحانه وتعالى والانتماء لدينه مقدمة وسابقة على محبة النعمة التي هي الوطن، وآيات القرآن الكريم ناطقة بذلك في غير موضع، وفي السطور الآتية وقفات مع آيات القرآن الكريم التي تجلي هذه الحقيقة.

الآية الأولى: قال الله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ٢١٨] بين الله تعالى في هذه الآية أن من قدم الله تعالى ورسوله على غير ذلك من وطن وغيره، وبذل هذا مع غلاء ثمنه فهو يرجو رحمة ربه تعالى والله غفور رحيم، قال أبو السعود في تفسير هذه الآية الكريمة: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا } هم المهاجرون هاجروا أوطانهم حبًا لله تعالى ولرسوله(٤٦).

وقال ابن العربي: هم الذين تركوا أوطانهم وأهليهم وأموالهم إيثار لله ورسوله في إعلاء دينه، وإظهار حكمته، ولزوم طاعته، وعموم دعوته(٤٧).

وقال الشيخ أبو زهرة : وصف الله المهاجرين بأنهم آمنوا إيمانًا لقوا فيه الأسى والعذاب فما وهنوا، وما ضعفوا، وما استكانوا، وصبروا وصابروا، وبأنهم هاجروا أي تركوا ديارهم وأسرهم وأموالهم، وخرجوا من ديارهم وهي الحبيبة إليهم، فنالوا فضل الهجرة بترك الأحبة في سبيل الله، وما هاجروا للسياحة والترفيه بل خرجوا ليحملوا مشقة أعظم مما يحملوا، ولذا قال تعالى فيهم: {وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِم} [التوبة: ٢٠] (٤٨).

ففي ثناء الله تعالى عليهم وقد تركوا الوطن في سبيل الدين ما يظهر أن الدين مقدم على الوطن في حال تعرض دين المرء لسوء في وطنه.

الآية الثانية

قال الله تعالى: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران: ١٩٥]

وفي هذه الآية أيضًا إشارة إلى أفضلية من يوازن بين الأشياء فلا يغلب عنده مهم على أهم، ومن هنا يبذل النفيس من أجل الأنفس، والغالي من أجل الأغلى.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: تفضيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كأنه قال : فالذين عملوا هذه الأعمال السنية، وهي المهاجرة عن أوطانهم فارين إلى الله بدينهم من دار الفتنة، واضطروا إلى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف ...[٤٩].

وإلى هذا المعنى يشير صاحب زهرة التفاسير بقوله : {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} [آل عمران: ١٩٥] في هذا النص تعداد للأعمال الصالحات التي قام بها هؤلاء المؤمنون الأولون، واستحقوا بها نعيم الجنة، وتوقوا بها عذاب النار، وهي أمور ثلاثة آخذ بعضها بحجز بعض ومتلاقية في معناها ومغزاها، أول هذه الأمور أنهم هاجروا وأخرجوا من ديارهم فهم هجروا مغانيهم التي تربوا فيها، غير راغبين ولا محبين الخروج بل ملجيئن مضطرين، ولذلك روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مخاطبًا مكة عندما خرج منها: إنك لأحب أرض الله إلي ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت"[٥٠].

ويرى أن ورقة بن نوفل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليتني أكون جذعا إذ يخرجك قومك فقال له: عليه الصلاة والسلام: أو مخرجي هم، قال: ما أوتي أحد

بمثل ما أوتيت إلا عودي[٥١] والله تعالى يقول: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ} [الأنفال: ٣٠] فكان الإخراج سبب الهجرة[٥٢].

قال أبو السعود: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا} [آل عمران: ١٩٥] أي فالذين هجروا الشرك أو الأوطان والعشائر للدين [٥٣].

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} [الأعراف: ٨٨] وفي هذه الآية دلالة صريحة على أن الدين يجب أن يكون مقدمًا حالما تعارض مع غيره من الأشياء حتى ولو كان هذا الشيء هو الوطن.

قال ابن جزي في تفسير هذه الآية: "هذا إخبار من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبي الله شعيبًا ومن معه من المؤمنين، في توعدهم إياه ومن معه بالنفي من القرية أو الإقرار على الرجوع في ملتهم والدخول فيما هم فيه[٥٤].

وذكر هذا المعنى الإمام البيضاوي في تفسيره[٥٥].

ويفصل الأستاذ محمد رشيد رضا هذه القضية في تفسيره لهذه الآية فيقول {قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} [الأعراف: ٨٨] ووجه كل من الإنكار والتعجب جهل هؤلاء الملأ بكنه الدين والملة، وكونه عقيدة يدان الله بها، وأعمالا يتقرب إليه بأدائها، وإن كان غنيًا عنها، وإنما شرعها لتكمل الفطرة البشرية بالتزامها، وجهلهم بكون حب الوطن وإلف السكن لا يبلغ هذه المنزلة، ولجهلهم هذا ظنوا أن شعيبًا عليه السلام قد يؤثر هو ومن آمن معه التمتع بالإقامة في وطنه ومجاراة أهله في كفرهم ورذائلهم على مرضاة الله تعالى بالتوحيد المطهر النقي من أدران الخرافات، وبالفضائل المرقية للنفس في معراج الكمال، ذلك بأن الملة عند أولئك الملأ الخاسرين رابطة تقليدية وعصبية قومية يجري أصحابها منها على قول الشاعر :

وهل أنا إلا من غزيه أن تموت غويت وإذ ترشد غزية أرشد

وملة الرسل ليست كذلك، بل هي دين مالك للنفس حاكم على الوجدان والعقل يقصد به الكمال البشري الأعلى بمعرفة الله تعالى والقرب منه، وما يتبع ذلك من صلاح الدنيا وسعادة الآخرة، فإن تمكن صاحبه من إقامته في وطنه وإصلاح أهله به فهم أحق به بدءًا ودومًا، وإن منع فيه حريته ففتن عن دينه كان تركه واجبًا، فإن لم يخرج منه شعيب ومن آمن معه إخراجًا وهم كارهون كما أخرج خاتم النبيين مع السابقين الأولين إلى الإسلام خرجوا مهاجرين كما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [العنكبوت: ٢٦] وقد أوجب الله تعالى الهجرة على من يستضعف في أرض وطنه، فيمنع من إقامة دينه فيها، ويوجب المتعقبون للأوطان في هذا العصر الهجرة منها إذا منعوا حريتهم الشخصية فيما هو دون الدين والوجدان، بل يعز على بعضهم أن يقيم في وطنه إذا منع فيه حرية الفسق والآثام، ورب أناس عز عليهم ترك وطنهم فآثروا البقاء فيه مفتونين في دينهم، فأظهروا الكفر ليأمنوا على حياتهم وظلوا يرون المحافظة على الإسلام في خاصة أنفسهم، ولكنهم لم يتمكنوا من تلقينه لأولادهم وتربيتهم عليه فارتدت ذريتهم عنه في زمنهم، أو من بعدهم كما وقع لبعض مسلمي الأندلس من غل الأسبانيين لعرش دولتهم العربية وإكراههم على الكفر أو الخروج من البلاد فخرج بعض وبقى آخرون تحت وعيد قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء: ٩٧] (٥٦)

الآية الرابعة

قال الله تعالى : {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: ٢٤] هذه الآية الكريمة صريحة في بيان مكانة الدين التي

لا بد أن تكون في النفوس، أي لا يصح لأحد أن يفضل أبًا ولا أمًا ولا ابنًا ولا مساكن ولا غيره على الله ورسوله وجهاد في سبيله، وفي هذا إظهار لعدم تعارض الدين مع الوطن، حيث إن القرآن الكريم توعد الذي يأبى الدفاع عن وطنه ودينه، ويجاهد في سبيل الله لأجل مصلحة من العوارض الزائلة من المحبة القريبة وترك ما هو في مصلحة الجميع.

قال ابن الجوزي: ومعنى الآية: إن كان مقامكم في أهاليكم وكانت الأموال التي اكتسبتموها، {وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} [التوبة: ٢٤] لفراقكم بلدكم {وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم} [التوبة: ٢٤] من الهجرة فأقيموا غير مثابين حتى تفتح مكة فيسقط فرض الهجرة .

والثاني: أمن العقاب، قاله الحسن [٥٧].

وقال الإمام النسفي: والآية تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقدة الدين، واضطراب حبل اليقين، إذ لا تجد عند أروع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والأموال والحظوظ[٥٨].

وقال ابن جزي الكلبي في تفسير هذه الآية: هذه الآية وعيد لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد[٥٩].

الآية الخامسة

قال الله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال: ٧٢] قال الزمخشري في تصريح لكون الهجرة والجهاد في سبيل الله تعالى، وترك النفس والنفيس لهو من مقتضيات الإيمان الحق، يقول: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا} [الأنفال: ٧٢] الذين هاجروا أي فارقوا أوطانهم وقومهم حبًا لله

ورسوله هم المهاجرون، والذين أووهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار...إلى أن قال: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال: ٧٤] لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن، ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين(٦٠).

الآية السادسة:

قال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } [إبراهيم: ١٣] قال السمرقندي: قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} [إبراهيم: ١٣] أي لتدخلن في ديننا {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ} [إبراهيم: ١٤] يقول لننزلنكم في الأرض من بعد هلاكهم، فأهلك الله تعالى قومهم فسكن الرسل ومن آمن معهم من المؤمنين ديارهم. {ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم: ١٤] يعني ذلك الثواب لمن خاف مقامه يوم القيامة بين يدي رب العالمين(٦١).

فأنت راء كيف جازى الله تعالى من آثره على غيره حيث آثر البقاء على دينه ولو كان هذا ثمنه التضحية بوطنه بالخروج منه، وفي هذا إظهار لفضل الدين على الوطن، وعدم نكران قيمة الوطن حيث إن الإنسان سوف يدفعه قيمة لأجل الدين.

وقال النسفي في توضيح ذلك

{لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا} [إبراهيم: ١٣] من ديارنا {لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا } [إبراهيم: ١٣] أي ليكونن أحد الأمرين: إخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك، والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب(٦٢).

فهذه ست آيات تظهر أن الإسلام لا يعارض الانتماء للوطن، ولكن يثمنه ويعرف له قيمته، ولكن لا ينبغي أن يكون الوطن أعلى قيمة من الدين في عقل المسلم.

وهذه الآيات الكريمة ترد على من اختلفت مفاهيم الأشياء عندهم وتباينت رؤيتهم فاختلت قيمة الأشياء أمام ناظرهم، ففضلوا النعمة على المنعم، ومثل هؤلاء غالبًا لا يقتنعون بالمنقول ولا يستمعون إلى قال الله تعالى وقال الرسول، وإنما هم يريدون حجة عقلية من نوع تفكيرهم ودليلًا من جنس دليلهم، ولو أنهم نظروا إلى حقائق الأشياء لأراحوا واستراحوا، ولكنهم يقنعون من الأمور بالأدنى، ويرضون منها بالأقل، يصور هذا المعنى قوله تعالى : {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ} [التوبة: ٤٢] وربما ينشد هؤلاء المهم على حساب الأهم، وقد شغلتهم النعمة على المنعم سبحانه، والمُلك عن المَلك القدوس عز شأنه، والخلق عن الخالق جل جلاله.

وهل الوطن والأهل إلا مظهرًا من مظاهر فضل الله سبحانه وبعض نعمته على الإنسان {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: ٣٤]

فإذا أبيت هذا وبان أن الوطن أثر من آثار نعمة الله تعالى، وجزء قليل من خير كثير أنعم الله به على الإنسان في صحته وماله، وأهله ووطنه، يحق لنا أن نتساءل أي الأمرين أحق بالحب وأولى بالانتماء النعمة أم المنعم؟ الفضل أم صاحب الفضل والمنة وخالق الكون وواهب الحياة(٦٣).

المبحث الخامس: الحرمان من الوطن عقوبة إلهية

من المعلوم لدى العقلاء أن النعمة تجاور الطاعة، فإذا غادرت الطاعة العبد غادرت معها النعمة، ومن أعظم النعم التي أولاها الله تعالى عباده نعمة الوطن، فهو المأمن والمكمن، وهو المأوى والمثوى، وهو الملجأ والملاذ، وقد أظهرت آيات القرآن الكريم في الكثير من آياته أن كثيرًا من الأمم بدلوا وحرفوا وغيروا فجازاهم الله تعالى بعقوبة تضاهي ذنبهم وهي الخروج من الوطن والحرمان منه، وفي السطور الآتية

بيان لهذه الآيات الكريمة التي تناولت قيمة الوطن وكيف جازى الله تعالى بها من بدل من عباده.

الآية الأولى:

قال الله تعالى: {وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ} [إبراهيم: ٤٥] في هذه الآية الكريمة يندب الله تعالى عباده إلى التدبر والاعتبار بأقوام سبقوهم وقدر لهم أن يسكنوا في مساكنهم، فكان لزامًا عليهم أن يعتبروا بعاقبتهم، ويقفوا عند هلاكهم، فلا يفعلون ما فعلوا حتى لا يصابوا بمصابهم.

قال ابن الجوزي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

{وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} [إبراهيم: ٤٥] أي نزلتم في أماكنهم وقراهم كالحجر ومدين والقرى التي عذب أهلها، ومعنى { ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ } أي ضروها بالكفر والمعصية، { وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ } يعني كيف عذبناهم، يقول فكان ينبغي لكم أن تتزجروا عن المخالفة بمساكنهم بعدما علمتم فعلنا بهم، { وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ } قال ابن عباس: يريد الأمثال التي في القرآن(٦٤).

فانظر كيف عاقب الله أقوامًا بدلوا بإهلاكهم وإخراجهم من دورهم وأوطانهم.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} [طه: ١٢٨] في هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى وجه العبرة والعظة من قوم أهلكهم الله تعالى لأنهم بدلوا وغيروا حتى صاروا عبرة لغيرهم، غير أن أهل مكة يغفلون عن هذا، ومن هنا نبههم الله تعالى إلى النظر في شأن هؤلاء حتى لا ينتهجوا نهجهم.

قال السمرقندي: { أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ } يعني أفلم يتبين لقومك { كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} يعني يمرون على منازلهم { إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ } يعني في هلاكهم لعبرات {لِأُولِي النُّهَى} يعني العبرات لذوي العقول من الناس.

وقال ابن الجوزي: "أي أفلم يتبين لكفار مكة إذا نظروا آثار من أهلكنا من الأمم، وكانت قريش تتجر وترى مساكن عاد وثمود وفيها علامات الهلاك، فذلك قوله تعالى {يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ}(٦٥).

ولعل كلام الإمام النسفي أكثر صراحة من هذا، عندما قال :"يريد أن قريشًا يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم .{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} [طه: ١٢٨]لذوي العقول إذا تفكروا علموا أن استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا" (٦٦). وإلى هذا أشار ابن جزي الكلبي في تفسيره(٦٧).

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [النمل: ٥٢]

وفي هذه الآية يظهر الله تعالى خلاء بيوت الظالمين بشؤم ظلمهم وعاقبة معصيتهم، قال القشيري رحمه الله : {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا} فالنفوس إذا ظلمت بزلاتها خربت بلحوقها شؤم الذلة، حتى يتعود صاحبها الكسل، ويستوطن مركب الفشل، ويحرم التوفيق، ويتوالى عليه الخذلان، وقسوة القلب، وجمود العين، وانتفاء تعظيم الشريعة من القلب(٦٨).

قال الشيخ طنطاوي رحمه الله: والذي يتدبر القرآن يرى في كثير من آياته التحذير الشديد من الاغترار بإمهال الله جل جلاله لعباده إذا أهملوا أو أساءوا، والتخويف من الاطمئنان إلى متاع الدنيا اطمئانا يؤدي إلى عدم شكر الله تعالى على نعمه، واستعمالها في الشر لا في الخير، وفي السيئات لا في الحسنات، وفي الرذائل لا في الفضائل، ومن هذه الآيات قوله تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا

عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف: ٩٦] (٦٩).

قال القاسمي في تفسير هذه الآية : {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً} أي خالية ساقطة لم تعمر بعدهم لأنهم استؤصلوا {بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} أي بأنهم ما أخذوا إلا لظلمهم وإن عاقبة الظلم الحرمان والبوار(٧٠).

قال الإمام ابن كثير: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً} أي فارغة ليس فيها أحد(٧١).

الآية الرابعة: قال الله تعالى {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص: ٥٨]

فهذه الآية صريحة في بيان أن هلاك الله تعالى وقع بهذه القرية عندما كفرت نعمة ربها فأخلى الله تعالى مساكنهم، وحرمهم من أوطانهم لأجل هذا.

قال النسفي في تفسير هذه الآية الكريمة: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَة} [القصص: ٥٨]هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بإنعام الله تعالى عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر، فأهلكوا، والبطر سوء احتمال الغنى، وهو ألا يحفظ حق الله فيه {فَتِلْكَ } منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الأسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم(٧٢).

قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافرون، ومار الطريق يوما أو ساعة، والمعنى لم تسكن من بعدهم إلا سكونا قليلا {وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ}أي لم يخلفهم أحد بعد هلاكهم في منازلهم فبقيت خرابا غير مسكون(٧٣).

وقال السمرقندي: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَة} [القصص: ٥٨]فيما مضى{بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} كفرت برزق ربها ذكر القرية وأراد به أهل القرية، يعني أنهم كانوا يتقلبون في رزق الله تعالى فلم يشكروه في نعمته ويقال؟{بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} يعني طغوا في نعمة الله فاهلكهم الله تعالى بالعذاب في الدنيا، ويقال عاشوا في البطر وكفران النعم {فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ}يعني انظروا واعتبروا في بيوتهم وديارهم بقيت خالية {لَمْ

تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا}وهم المسافرون ينزلون بها يوما أو ساعة {وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} أي نرث الأرض ومن عليها(٧٤).

الآية الخامسة: قال الله تعالى{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} [العنكبوت: ٣٨]

قال ابن الجوزي: أي ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالحجاز واليمن آية في هلاكهم، وبه قال ابن جزي الكلبي والسمرقندي(٧٥).

قال النسفي: يعني ما وصفه من إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها، وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها(٧٦).

فانظر إلى لفت الله تعالى أنظار هؤلاء إلى قوم عاد وثمود كيف كان عاقبة أمرهم عند تبديلهم وتغييرهم بحرمانهم من أوطانهم التي صارت خاوية على عروشها وقد رأى أهل مكة هذا رأي العين.

الآية السابعة: قال الله تعالى {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ: ١٥]

ولا أصرح من هذه الآية الكريمة في هذا الشأن، حيث ضرب الله تعالى مثلا حيا من أمثال القرآن الكريم لقرية سبأ التي كانت تعيش في رغد من العيش فبطروا النعمة وملوا العافية فكان عاقبتهم خسرا.

قال القشيري رحمه الله:{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ }

كانوا في رغد من العيش وسلامة الحال ورفاهيته، فأمروا بالصبر على العافية، والشكر على النعمة، وهذا أمر سهل يسير، وهؤلاء أعرضوا على الوفاق وكفروا بالنعمة وضيعوا الشكر فبدلوا وبدل بهم الحال كما قالوا

تبدلت وتبدلنا يا حسرة لمن ابتغى عوضا لسلمى فلم يجد(٧٧).

وقال النسفي : ومعنى كونها آية أن أصلها لما أعرضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا من الكفر وغمط النعم.

أو جعلها آية أي علامة دالة على قدرة الله تعالى وإحسانه ووجوب شكره(٧٨).

قال الشيخ طنطاوي: وشبيه بهذه الآية الكريمة في أن كفران النعم واستعمالها في الشر لا في الخير، وفي المعصية لا في الطاعة، وفي الباطل لا في الحق، يؤدي إلى زوال نعمة الأمان والاطمئنان، ليحل محلهما الخوف والفزع واضطراب الأحوال شبيه بهذه الآية ما قصه الله علينا بشأن قبيلة سبأ في قوله تعالى {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ } [سبأ: ١٥]وكانوا يسكنون بمأرب اليمن، وقد أعطاهم الله تعالى بسطة في الرزق، ولكنهم لم يشكروا الله على نعمه فتبدلت حالهم من الغنى إلى الفقر، ومن الأمن إلى الخوف، ومن الاستقرار إلى الشتات(٧٩).

الآية الثامنة: قال الله تعالى{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [الأحقاف: ٢٥] ٢٥]فهذه الآية الكريمة صريحة في بيان أن هؤلاء القوم لما كذبوا وبدلوا نعمة الله تعالى كفرا ما كان إلا أن أرسل الله تعالى عليهم الريح العقيم التي تدمر كل شيء بأمر ربها، واجتالتهم عن مساكنهم وأوطانهم، وبقيت أوطانهم خاوية على عروشها بظلمهم وكفرهم .

قال السمرقندي: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ} يعني تهلك الريح كل شيء{بِأَمْرِ رَبِّهَا} أي بإذنه تعالى {فَأَصْبَحُوا} أي فصاروا من العذاب بحال {لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُم} ومعناه لا ترى شيئا أيها المخاطب، لو كنت حاضرا ما رأيت إلا مساكنهم ثم قال {لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُم} [الأحقاف: ٢٥] يعني هكذا القوم المشركين عند التكذيب(٨٠).

المبحث السادس: الإخراج من الوطن قرين الموت أو العذاب

حقا إن الإخراج من الوطن أو الجلاء عنه مضطرا، لهو مما يكافئ القتل أو العذاب، وقد جسد القرآن الكريم هذا المعنى جليا ظاهرا لا لبس فيه ولا غموض في أربعة آيات كريمة وفي السطور الآتية وقفة مع هذه الآيات آية آية لنستجلي هذا الفهم القرآني من كلام المفسرين حول هذه الآيات

الآية الأولى: قال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُون} [البقرة: ٨٤]

في هذه الآية الكريمة سوى الله تعالى بين سفك دم الإنسان وبين إخراجه من داره ووطنه الذي يحيا فيه، وفي هذا دليل على أن قيمة الحياة الوطن هي ذاتها قيمة الحياة، إذ لا فرق بين إزهاق روح الإنسان وإخراجه من الدنيا وبين إخراجه من وطنه الذي يحيا فيه آمنا على نفسه وماله وأهله، وقد سبق الحديث عن هذه الآية بالتفصيل في المبحث الثاني من هذا الفصل.

الآية الثانية: قال الله تعالى {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} [النساء: ٦٦] وفي هذه الآية يوازي الله تعالى في التكليف بين قتل النفس والخروج من الوطن.

إن هذه الآية هي أصرح آية في القرآن الكريم تظهر قيمة الوطن من الدين فقد سوى الله تعالى بين قتل النفس والخروج من الوطن، وحول هذا المعنى دار كلام كثير من المفسرين

قال السخاوي رحمه الله تعالى: { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ } [النساء: ٦٦]جعل الله الخروج من الأوطان قرين القتل كما جعله في سورة الحشر قرين التعذيب(٨١).

قال الواحدي:{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ} [النساء: ٦٦] أي على هؤلاء المنافقين من اليهود {أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}كما كتب ذلك على بني اسرائيل{أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ } كما كتبنا على المهاجرين ما فعلوه إلا قليلا منهم، أي للمشقة فيهم مع أنه كان ينبغي أن يفعلوه، {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِه} أي ما يؤمرون به من أحكام القرآن {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِه} في معاشهم وثوابهم{وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} منهم لأنفسهم في الدين وتصديقا بأمر الله(٨٢).

وقال ابن عادل في التصريح بهذا المعنى : {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [النساء: ٦٦] والمعنى أنا لو شددنا التكليف على الناس نحو أن نأمرهم بالقتل والخروج عن الأوطان لصعب ذلك عليهم ولما فعله إلا قليل، وحينئذ يظهر كفرهم فلم نفعل ذلك رحمة منا على عبادنا بل اكتفينا بتكليفهم في الأمور السهلة فليقبلوها وليتركوا التمرد(٨٣).

ويذكر ابن العربي رحمه الله أن الله تعالى رحم العباد فلم يكتب عليهم هذا لشدته فيقول: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [النساء: ٦٦] فأخبر الله سبحانه أنه لم يكتب ذلك علينا لعلمه بأن الأكثر ما كان يتمثل ذلك، فتركه رفقا بنا لئلا تظهر معاصينا فكم من أمر قصدنا عنه مع خفته فكيف بهذا الأمر مع ثقله أما والله لقد ترك المهاجرون مساكنهم خاوية وخرجوا يطلبون بها عيشة راضية والحمد لله(٨٤).

وللشيخ رشيد رضا كلام طيب في تفسير هذه الآية حيث يقول {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُم} [النساء: ٦٦] أي ولو أمددناهم بقتل أنفسهم، أو قلنا لهم اخرجوا من دياركم أي أوطانكم وهاجروا إلى بلاد أخرى{مَا فَعَلُوهُ }أي المأمور به من القتل والهجرة من الوطن.

بين الله تعالى لنا أن المؤمن الصادق هو من يطيع الله تعالى ورسوله في المنشط والمكره، والسهل والشاق، ولو قتل النفس، وهما متقاربان لأن الجسم دار الروح والوطن دار الجسم، وقيل إن الكلام في جملة المكلفين من الناس، والمعنى أن الإنسان خلق ضعيفا فلو كتبنا عليهم ما يشق احتماله كقتل النفس والخروج من الوطن لعصى الكثير منهم ولم يطع إلا القليل وهم أصحاب العزائم القوية الذين يؤثرون رضوان الله على حظوظهم وشهواتهم(٨٥).

ويحسن أن نختم هنا بما قاله الشيخ الشعراوي رحمه الله في خواطره حول هذه الآية فيقول: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُم}

[النساء: ٦٦] وهنا يساوي الحق بين الأمر بقتل النفس والإخراج من الدار فالقتل خروج الروح من الجسد بقوة قسرية غير الموت الطبيعي، والخروج من الديار هو الترحيل القسري بقوة قسرية خارج الأرض التي يعيش فيها الإنسان، إذن فعملية القتل قرينة لعملية الإخراج من الديار فساعة يقتل الإنسان فهو يتألم، وكلاهما شاق على الإنسان ويأتي الحق بهذين الجملتين الذين سبقا في قوم موسى عليه السلام(٨٦).

الآية الثالثة: قال الله تعالى {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]

ففي هذه الآية أيضا سوى الله تعالى بين القتال في الدين بغية التضييق على المسلم في إقامة شعائره الدينية وبين الإخراج من الوطن الذي يحيا فيه آمنا مطمئنا.

قال البيضاوي رحمه الله تعالى {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ } [الممتحنة: ٩] كمشركي مكة فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين {أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الممتحنة: ٩] لوضعهم الولاية في غير موضعها(٨٧).

الآية الخامسة: قال الله تعالى {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ } [الحشر: ٣]

هذه الآية الكريمة من الآيات الصريحة التي تظهر قيمة الوطن وتعلي من قدره، وتجعله قرينا للأمن النفسي وراحة البال وهدوء الحال، وأن الحرمان من الوطن هو العذاب ذاته فهو بديل عنه في هذه الآية الكريمة السابقة، وهو عقوبة إلهية من الله تعالى الذي جعل لليهود إحدى عقوبتين: الجلاء عن الوطن أو العذاب في الدنيا، واختار لهم العقوبة الأولى رحمة بهم وإلى هذه المعاني اتجهت كلمة المفسرين جلهم وفي السطور الآتية بيان لأقوال بعضهم:

قال السخاوي رحمه الله: {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ} [الحشر: ٣] وعوقبوا بالبعد عن ديارهم لما قنع لهم بالجلاء وكفى بالجلاء عن الأوطان عقوبة(٨٨).

وقال ابن عجيبة في بحره المديد: {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ} [الحشر: ٣] الخروج من الوطن على ذلك الوجه الفظيع{لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا} بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة(٨٩).

وقال الخازن وتبعه البغوي: {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ } [الحشر: ٣] يعني الخروج من الوطن {لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا}يعني بالقتل والسبي كما فعل بني قريظة {وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} أي الذي لحقهم ونزل بهم(٩٠).

وإلى هذا المعنى السابق ذهب كثير من المفسرين (٩١).

وهاهنا يشير الإمام الزمخشري إلى معنى جليل فيقول: {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ } [الحشر: ٣]يعني أن الله قد عزم على تطهير أهل المدينة وإراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم، فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه إلى اختياره أنه أشق عليهم من الموت {لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا} بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة ولهم سواء أجلوا أو قتلوا {عَذَابُ النَّارِ} يعني إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجو من عذاب الآخرة(٩٢).

وقال صاحب التحرير والتنوير: والمراد بالتعذيب الألم المحسوس بالأبدان بالقتل والجرح والأسر والإهانة، وإلا فإن الإخراج من الديار نكبة ومصيبة، لكنها لا تدرك بالحس، وإنما تدرك بالوجدان، وإنما قدر الله لهم الجلاء دون التعذيب في الدنيا لمصلحة اقتضتها حكمته وهي أن يأخذ المسلمون أرضهم وديارهم وحوائطهم دون إتلاف من نفوس المسلمين، مما لا يخلو منه القتال، لأن الله أراد استيفاء قوة المسلمين لما يستقبل من الفتوح فليس تقدير الجلاء لهم لقصد اللطف بهم وكرامتهم وإن كانوا قد آثروه على الحرب(٩٣).

فانظر كيف اتفقت كلمة المفسرين على أن الخروج من الوطن يساوي القتل أو العذاب، وفي هذا إشارة إلى قيمة الوطن ومكانته من الدين.

المبحث السابع: هجرة الوطن بين الثواب والعقاب

من القضايا المهمة التي تناولتها آيات القرآن الكريم قضية الخروج من الوطن على سبيل الهجرة منه، وهل هذا في كل وجه محمود أو مذموم، فالذي يطالع آيات الكتاب الكريم يجد أن القرآن الكريم قد فرق بين الهجرة المحمودة التي هي في سبيل الله وتقديم حقه على حق كل من هو دونه حتى ولو كان هذا الحق هو حق الوطن، وبين الهجرة المذمومة التي تعتبر فرارا من المسئولية، وإيثارا للدعة والراحة دون البذل والعطاء في سبيل الله تعالى .

فهناك فارق كبير بين هجرة هي في نفسها هروب من الأذى، وتبدلا لمكان بمكان بغية الراحة والفرار من أمانة حمل الدين والذود عنه، وبين هجرة هي حركة ضرورية لبناء مجتمع إسلامي حر لا عنت فيه ولا إكراه، ولا مصادرة فيه لحقوق إنسان في عقيدة سليمة وحياة كريمة، وردت هذه المعاني المهمة في كتاب الله تعالى في بيان الهجرة المحمودة واستحقاق أصحابها الثواب العظيم عليها في ثلاث آيات كريمة وهي:

الآية الأولى: قال الله تعالى{فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران: ١٩٥] في هذه الآية الكريمة بين الله تعالى أن مكانة الذي يهجر وطنه وموضع ولادته ومرعى صباه، ويخر من داره بعد إيذائه في سبيله تعالى فارا بدينه بعد قتل وقتال، لا شك أنه مستحق لثواب الله تعالى الذي هو تكفير الذنوب والخطايا ودخول الجنات التي أعدها الله تعالى لعباده الصالحين.

قال ابن الجوزي:{فَالَّذِينَ هَاجَرُوا} [آل عمران: ١٩٥] أي تركوا الأوطان والأهل والعشائر {وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} يعني المؤمنين الذين هاجروا من مكة بأذى المشركين فهاجروا{وَقَاتَلُوا } المشركين {وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران: ١٩٥] (٩٤).

وقال ابن عجيبة في بحره المديد : ثم فصل أعمال العمال وما أعد لهم من الثواب فقال: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا} [آل عمران: ١٩٥] دار الشرك وفارقوا الأوطان والأصحاب والعشائر {وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي}بسبب إيمانهم بالله {وَقَاتَلُوا } الكفار {وَقُتِلُوا } أي ماتوا في الجهاد{لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم} أي لأمحونها{وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} أي أثيبهم ثوابا من عند الله تفضلا وإحسانا{وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} لا يعجزه شيء(٩٥).

قال في مراح لبيد: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا } [آل عمران: ١٩٥] أي اختاروا المهاجرة من أوطانهم في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم {وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم} أي ألجأهم الكفار إلى الخروج من منازلهم التي ولدوا فيها {وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي} أي بسبب طاعتي ومن أجل ديني {وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا} قاتلوا العدو معه صلى الله عليه وسلم حتى قتلوا في الجهاد{لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم} الثواب أن الله تعالى وعد من فعل ذلك بأمور ثلاثة أولها: محو السيئات وغفران الذنوب وثانيها: إعطاء الثواب العظيم وهو دخول الجنان وثالثها: كون الثواب مقرونا بالتعظيم(٩٦).

قال الإمام النسفي في تفسير هذه الآية الكريمة: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا } [آل عمران: ١٩٥] مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له، كأنه قال: فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة من أوطانهم فارين إلى الله تعالى بدينهم إلى حيث يأمنون معه، فالهجرة كائنة في آخر الزمان كما كانت في أول الإسلام {وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} التي ولدوا فيها ونشأوا {وَأُوذُوا فِي

سَبِيلِي}بالشتم والضرب ونهب الأموال يريد سبيل الدين {وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا} وغزوا المشركين واستشهدوا {لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم} في معنى لأثيبنهم(٩٧).

وإلى هذا المعنى أشار الإمام الخازن في لباب التأويل، والإمام القاسمي في محاسن التأويل(٩٨).

فأنت راء أنه ما من مفسر مما ذكرت إلا ونص على أن الفارق بين الصنفين واضح وأن لا يستوي الصنفان ولا يتعادل الفريقان فمن فلاشك في أن من بذل هذه التضحية وهي هجرة الوطن والأهل والولد في سبيل الله تعالى متميز عن غيره ممن لم يوفق إلى هذا.

وللشيخ الشعراوي في تفسير هذه الآية الكريمة كلام مهم قال {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا} [آل عمران: ١٩٥] فالذين هاجروا من بلادهم ومن أهليهم ومن أوطانهم ومن أحبابهم دون إكراه، وتجربتهم هذه هي نزع وجودي وانتقال من مكان إلى مكان جديد، وخرجوا بجزء من إرادتهم، وكذلك الذين خرجوا من ديارهم وقاتلوا في سبيل الله، وتحملوا الإيذاء وقتلوا، هؤلاء ينالون التكفير عن السيئات ويدخلون الجنة، لقد جاء الحق هنا بالعملية التي تتضح فيها الأسوة الإيمانية لأن الإنسان ينشغل بماله وأهله ووطنه واستيفاء الحياة، فإذا ما ضحى الإنسان بهذا كله في سبيل الثبات على كلمة الله أولا وإعلاء كلمة الله ونشرها ثانيا، فالمؤمن من هؤلاء لم يكتف بنفسه بل جاهد في سبيل الله لتنتقل الحياة بحلاوتها إلى غيره، وبذلك يكون أحب لغيره ما أحبه لنفسه(٩٩).

الآية الثانية: قال الله تعالى {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحشر: ٨]

مدح الله تعالى في هذه الآية الكريمة من خرج مهاجرا إلى الله تعالى، فقيرا إليه مستعينا به فارا بدينه إليه تعالى، والمقصود هنا المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم ويصدق على من هو في مثل حالهم ما أعده الله تعالى لهم .

قال ابن عطية في بيان هذا: ثم وصفهم الله تعالى بالصفة التي تقتضي فقرهم، وتوجب الإشفاق عليهم، وهي إخراجهم من ديارهم وأموالهم، وجميع المهاجرين إما أخرجهم الكفار وإما أحوال الكفار وظهورهم...{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا} [الحشر: ٩] هم الأنصار والضمير في {قَبْلِهِم} للمهاجرين والدار هي المدينة والمعنى تبوءوا الدار مع الإيمان معا(١٠٠).

وإلى استحقاقهم الثواب العظيم من الله تعالى قال محمد عبده في تفسير هذه الآية: " {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ} [الحشر: ٨] حيث اضطرهم كفار مكة إلى الخروج من مكة{ أُولَئِك} الموصوفون بما فعل من الصفات الحميدة {هُمُ الصَّادِقُون} الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك عليهم بما فعلوا من مفارقة الأوطان والأهل والولدان...ثم قال: فالذين يستحقون من المواهب والفيض الإلهي والاصطفاء ثلاثة أصناف، الأول: الفقراء الذين هاجروا أوطانهم وتركوا ديارهم وعشائرهم طلبا لصلاح قلوبهم وأسرارهم(١٠١).

وإلى هذا المعنى أشار القاسمي في تفسيره محاسن التأويل(١٠٢).

فهذه هجرة محمودة رتب الله تعالى عليها عظيم الثواب وجزيل الأجر، لما للوطن من مكانة في قلب الإنسان، ومع هذا كله آثر رضا الله تعالى وفر بدينه الذي لم يتمكن من إقامته في وطنه، فاستأهل بذلك الثواب الجزيل من الله تعالى.

الآية الثالثة: قال الله تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم} [الأنفال: ٧٤]فقد وصف الله تعالى في هذه الآية الكريمة هذا الصنف من الناس بأنهم المؤمنون حقا لما أنهم تركوا الأوطان والأموال والديار، وخرجوا في سبيله تعالى، وجمع معهم

من أواهم ونصرهم لما لدين الله تعالى من مكانه تعلو كل مكانه، ومنزله تقدم كل منزلة.

قال في التفسير: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا} [الأنفال: ٧٤]فالله تعالى ذكرهم أولا ليبين حكمهم، وهو إكرام بعضهم بعضا، ثم ذكرهم هاهنا لبيان تعظيم شأنهم وعلو درجتهم، وأثنى عليهم من ثلاثة أوجه: وهي وصفهم بكونهم محققين في طريق الدين لأنه من لم يكن محقا دينه لم يفارق الأهل والوطن، ولم يبذل النفس والمال ولم يكن في هذه الأحوال من المتسارعين(١٠٣).

فانظر كيف أخذ هذا المفسر من بذل الوطن في سبيل الله تعالى دليلا على أحقية الدين الذي يعتنقه الإنسان وإخلاصه فيه، لأنه لو لم يكن كذلك لما بذل ماله، وخرج من وطنه.

قال الدكتور مصطفى عبد الواحد: ولهذا كانت الهجرة فريضة لازمة لا يغتفر للمسلم في ذلك الحين إهمالها، ما دام قادرا عليها، إذ كان تحقيقا لحرية المجتمع، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [الأنفال: ٧٢] وكيف يرضى المسلم لنفسه بالفتنة والقهر، وكيف لا ينجو بعقيدته إلى أفق حر لا يؤذي فيه ولا يكره، إنه حينئذ يظلم نفسه وعقيدته، ويلقي بيده إلى التهلكة، وذلك يعزله عن دينه ويخرجه عن حقيقته.

{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء: ٩٧ – ٩٩]إن ذلك يفرض على المسلم الحرص على

نيل حريته، والسعي لفكاك نفسه من العبودية لغير الله، والنجاة من قبضة الكفر، وأرض الله واسعة، فلن يعدم أفقا حرا ينجيه من البأس ويقيه الفتنة والاضطهاد، ولن يضطر المسلم أبدا أن يقبل الدنية، أو يرضى بالهوان ما دامت في آفاق الأرض سعة، وما دام لدى المسلم قدرة وإباء {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} [العنكبوت: ٥٦] (١٠٤).

هذه بعض إشارات قرآنية تبين مكانة الوطن من الدين ومتى تكون هجرته _ على مكانته الكبيرة – محمودة يستحق صاحبها الثواب العظيم.

وثمت آيات أخرى ورد فيها الإشارة إلى عكس هذا، وبيان أن الهجرة قد تكون مذمومة إن كانت فرارا وهروبا من المسئولية، أو كانت عقوقا للوطن، ونكوصا عن أداء حقه، وسقوطا في مهاوي خذلانه وقت الحاجة إلى نصرته، حتى تخرج المرأة بغير إذن زوجها، والعبد بغير إذن مولاه، إنها حالة فارقة بين المحق والمبطل.

ورد هذا المعنى في آية واحدة من كتاب الله تعالى هي قول الله تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [البقرة: ٢٤٣]قال صاحب التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية الكريمة:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} [البقرة: ٢٤٣] ألم ينته علمك أيها المخاطب إلى حال هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم {وَهُمْ أُلُوفٌ} فإن حالهم عجيبة من حقها ألا تجهل، فإنهم في كثرتهم أحقاء بأن يكونوا لهم من الشجاعة ما يربأ بهم عن الخروج من وطنهم حذرا من الموت(١٠٥).

وانظر إلى دقة التعبير القرآني في عطف الأمر بالموت على الخروج من الديار بالفاء الدالة على اتصال الهلاك بالفرار من العدو، وإلى عطفه الاختيار بإحيائهم بثم

الدالة على تراخي ذلك وتأخره، ولأن الأمة إذا شعرت بعدم البلاء بعد وقوعه بها وذهابه باستقلالها، فإنه لا يتيسر لها تدارك ما فات إلا في زمن طويل(١٠٦).

قال الإمام النسفي: والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد، ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله، وهو قوله تعالى {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّه} [البقرة: ٢٤٤]فحرض على الجهاد بعد الإعلام بأن الفرار من الموت لا يغني(١٠٧).

المبحث الثامن: مشروعية الدفاع عن الوطن

من الأمور المهمة التي تناولتها آيات القرآن الكريم في الحديث عن قضية الوطن، الدفاع عن حماه، والذود عن جنابه، فهو مكان عرض الإنسان، ومكمن شرفه، وموئل أمله، فإن الإنسان على أرضه يحيا، وفي نعيمه وخيراته يتقلب، ومن مائه يرتوي، يفترش أرضه، ويلتحف سماءه، عزه من عزه ، وشرفه من شرفه.

ولهذا أولى القرآن الكريم عناية فائقة بهذه القضية حتى أذن للمؤمنين في الجهاد في سبيله سبحانه وتعالى، وجعل من حيثيات هذا الجهاد الخروج من الأولاد والديار.

وقد تناولت آيات القرآن الكريم التي ورد فيها الحديث عن هذه القضية، وهي مشروعية الدفاع عن الوطن تناولت الحجة التي تدفع الإنسان إلى التضحية بالنفس والنفيس في سبيل العز لوطنه، والسلامة لأرضه وعرضه.

وقد أولت السنة النبوية أيضا هذا الجانب عناية فائقة فلقد ارتسمت هذه المبادئ في شخص الرسول صلى اله عليه وسلم، وصارت هديا له، وسمتا لا يفارقه، فهو أشجع الناس، وهو صلى الله عليه وسلم في طليعة الجيش، وهو صلى الله عليه وسلم من كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يتوقون به الأعداء إذا حمي الوطيس.

يقول الدكتور محمد المسير في وصف حاله صلي الله عليه وسلم: من منطلق أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الإمام والحاكم للمسلمين كان يقظا في حراسة أمته، ومجتمعه يعمل بدأب على استباب الأمن وسلامة الرعية، وما كانت غزوات

رسول الله إلا لونا من ألوان الدفاع عن الدين والمجتمع وحماية الناس، وأمنا وتثبيتا للاستقرار والسلام.

وفي أوقات السلم وأثناء الليل كان صلى الله عليه وسلم يتفقد رعيته، ويحدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن موقف فذ من مواقف الحياة النبوية الشريفة، فيقول كما في صحيح مسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا، وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس أبي طلحة عري في عنقه سبق، وهو يقول لن تراعوا، قال: وجدناه بحرا، أو إنه لبحر، وكان فرسا يبطأ.

وفي هذا الحديث الشريف نجد النبي صلي الله عليه وسلم خرج قبل الناس كلهم يستطلع الخبر، ويتوق إلى معرفة مصدر هذا الصوت المزعج، وحين تجمع الناس وأرادوا الذهاب لكشف حال الموقف، تلقاهم الرسول صلى الله عليه وسلم راجعا مؤكدا لهم استباب الأمن، مبشرا لهم بالهدوء والسلام.

وهذا درس لولاة الأمر أن يكونوا في طليعة الأمة، دفاعا عن كرامتها، وحرصا على سلامة أبنائها وذودا عن مقدساتها، ولا بقاء لهم إلا بقدر ما يبذلون من حرص وتضحيات، وليست الولاية مغنما، وإنما هو تكليف وتبعات، يتحملها أكفاء الرجال وأقدرهم(١٠٨).

ولعل من يطالع أقوال المفسرين في تفسير آيات كتاب الله تعالى من الآيات التي عنيت ببيان مشروعية الدفاع عن الوطن، يدرك ما لهذه القضية من أهمية قصوى في التشريع الإسلامي.

وفي السطور الآتية نقف مع الآيات الواردة في هذا الشأن.

الآية الأولى" قال الله تعالى{قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [البقرة: ٢٤٦]

في هذه الآية الكريمة يورد المولى عز وجل على لسان الملأ من بني اسرائيل الدافع من وراء القتال والقتل، وبذل النفس والنفيس من دون ندم ولا وخز ضمير، وهذا الدافع هو الخروج من الديار والأبناء.

ولله در الإمام الجاحظ عندما أشار إلى هذا المعنى بقوله: فسوى الله تعالى بين موقع الخروج من ديارهم وبين موقع هلاك أبنائهم(١٠٩).

وإلى هذا المعنى أشار جل المفسرين.

قال ابن كثير: {قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّه} [البقرة: ٢٤٦]أي وقد أخذت منا البلاد وسبيت الأولاد، قال الله تعالى{فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ} [البقرة: ٢٤٦] أي وما وفوا بما وعدوا، بل نكل عن الجهاد أكثرهم، والله عليم بهم(١١٠).

وأشار إلى هذا المعنى بأوضح من ذي قبل الإمام البيضاوي فقال: {قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّه} [البقرة: ٢٤٦]أي أي شيء عرض لنا في ترك القتال، وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه ، من الإخراج عن الأوطان والإفراد عن الأولاد، وذلك أن جالوت ومن معه من العمالقه كانوا يسكنون بحر الروم بين مصر وفلسطين، فظهروا على بني إسرائيل فأخذوا ديارهم وسبوا أولادهم(١١١).

وقال أبو السعود:{ قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّه} [البقرة: ٢٤٦] أي أي سبب لنا في ألا نقاتل في سبيل الله، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا، أي والحال أنه قد عرض لنا ما يوجب القتال، إيجابا قويا من الإخراج من الديار والأوطان، والاغتراب من الأهل والأولاد، وإفراد الأبناء بالذكر لمزيد تقوية أسباب القتال(١١٢).

وإلى تفصيل البواعث على القتال، وأنها الدفاع عن الوطن والغيرة على الأولاد والأعراض، أشار الإمام أبو زهرة في تفسيره بقوله: أجابوا نبيهم بأنهم قدروا حالهم، وعالجوا ضعف نفوسهم، وبينوا أن بواعث القتال قد توافرت فحق علينا أن نقاتل، إننا قد أخرجنا من ديارنا باستيلاء العدو عليها، وأخرجنا من أبنائنا بسبيهم وفصلهم عنا، وجعل قوتهم لأعدائنا وليس لنا، فساغ لنا القتال، بل وجب علينا، أي أننا في حال توجب القتال علينا، فما الذي يمنع منه؟ لقد توفر الباعث وزال المانع فحق الجهاد، فإما فناء في طلب العزة وإما بقاء في ظلها، بل إن حالنا شر أنواع الفناء لأنه موت الاحياء، والجار والمجرور في {لَنَا} متعلق بمحذوف تقديره لا مسوغ لنا قط لعدم القتال بعد خراب الديار وذهاب الأبناء، إن المرء يدافع عن أرضه وعن ولده، وقد أخرجنا من الاثنين، فأرضنا ليست بيدنا، وأنفسنا ليست بأيدينا، إذ أخرجنا من فلذات أكبادنا وقطع عنا من هم قطع من نفوسنا(١١٣).

الآية الثانية: قال الله تعالى{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير} [الحج: ٣٩]

هذه الآية الكريمة تأذن للمؤمنين في الجهاد في سبيله تعالى وتشرعه لهم، لما أنهم تعرضوا للظلم وأي ظلم بعد الإخراج من الوطن والحرمان من الدور والمنازل، والانسلال من الأولاد والأموال، ولما كانت هذه الأمور من العظائم شرع الله تعالى لها الجهاد، الذي هو ذروة سنام الإسلام، وإلى هذا المعنى أشار الدكتور محمد عبد الله دراز في تعريفه للحرب المشروعة وأنه ينطوي تحتها نوعان أشار القرآن إلى كليهما فقال:

الأول : الدفاع عن النفس وفيه يقول الكتاب المجيد" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا.."

الثاني: الإغاثة الواجبة لشعب مسلم، أو حليف عاجز عن الدفاع عن نفسه{وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} [النساء: ٧٥] (١١٤).

قال صاحب التحرير والتنوير في تفسير قول الله تعالى {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} [الحج: ٣٩]لما بين أنهم إنما أذنوا في القتال لأجل أنهم ظلموا، فسر ذلك الظلم بقوله" {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّه} [الحج: ٤٠] فبين تعالى ظلمهم بهذين الوجهين:

الأول: أنهم اخرجوا من ديارهم

الثاني: أخرجوهم بسبب قولهم ربنا الله، وكل واحد من الوجهين عظيم في الظلم(١١٥).

وقال صاحب التفسير الواضح:{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ} [الحج: ٣٩] أي أذن لهم من الله في قتال من يقاتلهم ويعتدي عليهم، وسبق له أن أخرجهم من ديارهم وأموالهم وسامهم سوء العذاب، وذلك بسبب أنهم ظلموا في كل ما لحقهم من الكفار، وأن الله على نصر المؤمنين لقدير، ينصرهم بغير حرب ولا تعب، ولكن يريد الله من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته، ويمحص الله الذين آمنوا{وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ } [محمد: ٤] ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} [الحج: ٤٠]أي مكة{بِغَيْرِ حَقّ} [الحج: ٤٠]يقتضي الإخراج لكن قولهم ربنا الله{وَمَانَقَمُوامِنْهُمْإِلَّاأَنْيُؤْمِنُوابِاللَّهِالْعَزِيزِالْحَمِيد} [البروج: ٨](١١٦).

وقال الإمام النسفي: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} [الحج: ٣٩]أي أذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه { بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} بسبب كونهم مظلومين{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَق} [الحج: ٤٠] أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب التمكين لا موجب الإخراج ومثله{هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ} [المائدة: ٥٩](١١٧).

قلت: ففي هذه الآية تشريع للجهاد للأمة الإسلامية الذي مآله إما نصر، وإما شهادة وتضحية بالنفس والنفيس في سبيل الله تعالى، وفي هذا التشريع بيان لقيمة الوطن الذي شرع الجهاد لأجله.

المبحث التاسع: موقف الأنبياء من الوطن

المستعرض لكتاب الله تعالى بغرض الكشف عن حال الأنبياء عليهم السلام مع الوطن، يجد أن أنبياء الله تعالى أكبروا الوطن، وعرفوا له حقه دون تزيد أو نقصان، فهم العين السوية التي خلقها الله تعالى، وهم حجة الله على خلقه، أرسلهم الله تعالى ينشرون العدل قولا وفعلا.

فنجد أن الأنبياء مثلا في موقف من مواقفهم ارتأوا أن الوطن شيء جليل لكن لا يقدم على الدين إن هو عارضه.

وتجدهم في موقف آخر من نبي كريم يكبر الوطن ويدعو له، ويتمنى لو كان مالكا عليه كل كيانه.

وفي السطور الآتية تلخيص لمواقف بعض أنبياء الله تعالى ورسله ممن ذكر القرآن الكريم لهم موقفا مع الوطن:

أولا: موقف الرسل عامة من الوطن عندما يعارض الدين

سبق أن ذكرنا أنه لا تعارض بين حب الوطن وحب الدين، أو بين الانتماء للوطن والانتماء للدين، فهي دوائر متداخلة كل دائرة أوسع من أختها، فإن حب الوطن إنما هو بدافع من الدين وبرعاية منه ومن نصوصه الشريفة.

لكن ربما في حال أو بعض أحوال يطلب الدين الخروج من الوطن للدفاع عنه حينا، أو للدفاع عن الدين حينا ثانية، أو لهجرته فرارا بالدين حينا ثالثة، عند ذلك تجد أنه لا يقوم أمام الدين شيء حتى ولو كان هذا الشيء هو الوطن .

ظهر هذا الموقف الجليل في حياة الرسل عامة ممن طوى الله تعالى ذكرهم في القرآن الكريم في سورة إبراهيم عليه السلام، حيث آثروا واجب الدين والانتماء

إليه والخروج به على المكث في الوطن دون دين أو دون عقيدة، فقال الله تعالى{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} [إبراهيم: ١٣]قال صاحب التفسير الواضح في تجلية هذا المعنى: وقال الذين كفروا لرسلهم حين دعوهم إلى التوحيد، وترك عبادة الأوثان، ورأوا في الرسل إصرارا على هذا الدين، قالوا: ليكونن أحد الأمرين ولا ثالث لهما أبدا، إما أن تخرجوا من أرضنا، أو لتصيرن في ملتنا وشرعنا، وذلك كما قال قوم مدين لشعيب ومن آمن معه{لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا } [الأعراف: ٨٨] وكما قال كفار مكة للنبي صلى الله عليه وسلم{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلا} [الإسراء: ٧٦] قال الكفار هذا مغرورين بقوتهم وكثرتهم، وقلة عدد المؤمنين وضعفهم، فأوحى إلى الأنبياء ربهم قائلا: لا تحزنوا وأبشروا لنهلكن الظالمين من المشركين، ولنسكننكم الأرض من بعدهم عقوبة لهم على قولهم {لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا} [إبراهيم: ١٣](١١٨).

فهؤلاء الرسل آثروا الخروج من الوطن، والنزوع إلى الغربة في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، مع علمهم بقدر الوطن وقيمته، ولولا أن الكافرين يعلمون أن للوطن عند هؤلاء الرسل من المكانة والقيمة لما خيروهم بهذه الهيئة، وتلكم الكيفية، لأنهم وضعوا أمامهم الحرمان من شيء نفيس محبب إلى قلوبهم، إن هم لم يرضخوا لطلبهم من الرجوع عن دينهم والمسايرة لهم في غيهم(١١٩).

قال ابن عطية: ومن آثر الدين على الوطن نبي الله شعيب عليه السلام عندما هدده قومه بالإخراج من الوطن أو العود إلى ملتهم، والانسجام معهم في عبادتهم، فأعلنها عليه السلام لا حتى يشيب الغراب، أو يلج الجمل في سم الخياط، وكأنه رضي بالإخراج من الوطن، ولم يرض بالخروج من الدين، فقال {لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ} [الأعراف: ٨٨] تهديد بالنفي، والقرية المدينة الجامعة للناس لأنها تقرت،

أي تجمعت {أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} أي لتصيرن {قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} توفيق منه على شنعة المعصية، وطلب أن يقروا بألسنتهم بإكراه المؤمنين بالله على الإخراج ظلما وغشما...إلى أن قال: ويحتمل أن يريد بذلك معنى الاستبعاد كما تقول: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب، وحتى يلج الجمل في سم الخياط، وقد علم امتناع ذلك فهو إحالة على مستحيل(١٢٠).

وقد سبق تفصيل في تفسير هاتين الآيتين بما يغني عن إعادته هنا ضمن مبحث الموازنة بين الدين والوطن .

ثم إذا انتقلنا إلى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام رأيناه كيف دعا لبلده ورضيها وطنا لولده إسماعيل عليه السلام فقال{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: ١٢٦]

وقال{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} [إبراهيم: ٣٥]

فهو يدعو لهذه البلدة بالأمن والأمان لعلمه لأن الأوطان لا تتحقق إلا بالأمان.

قال الخازن: وإنما دعا إبراهيم له بالأمن لأنه بلد ليس به زرع ولا تمر، فإذا لم يكن آمنا لم يجلب إليه شيء من النواحي، فيتعذر المقام به، فأجاب الله تعالى إبراهيم وجعله بلدا آمنا، فما قصده جبار إلا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة(١٢١).

وإلى هذا المعنى أشار البغوي أيضا في تفسيره(١٢٢).

وفي سورة إبراهيم عليه السلام عندما دعا لمكة بصيغة التعريف{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} [إبراهيم: ٣٥] يعني ذا أمن يؤمن فيه وأراد به مكة(١٢٣).

قال الشيخ محمد سيد طنطاوي: وإنما طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يجعل مكة بلدا آمنا وأن يرزق أهله من الثمرات بما يغنيهم، لأن البلد إذا امتدت إليه

ظلال الأمن وكانت مطالب الحياة فيها ميسرة أقبل أهله على طاعة الله تعالى بقلوب مطمئنة، وتفرغوا لذلك بنفوس مستقرة.

قال بعض العلماء: إن الدنيا إذا طلبت ليتقوى بها الناس على إعلاء كلمة الحق، كان ذلك من أعظم أركان الدين، فإذا كان البلد آمنا وجعل فيه الخصب تفرغ أهله لطاعة الله تعالى، وإذا كان البلد على ضد ذلك كانوا هم على ضد ذلك[١٢٤].

لكن لننظر حاله عليه الصلاة والسلام حين تعارض عنده الدين مع الوطن كيف قدم الدين فآثر هجرة الوطن لأجل الدين، فقال الله تعالى:{وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} [العنكبوت: ٢٦]

قال ابن الجوزي: فيه قولان : أحدهما: إلى رضا ربي، والثاني: إلى حيث أمرني ربي فهاجر من سواد العراق إلى الشام وهجر قومه المشركين[١٢٥].

قال الخازن: وهو أول من هاجر إلى الله تعالى وترك بلده وسار إلى حيث أمره الله بالمهاجرة إليه، قيل: هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة[١٢٦].

وقد سبق الحديث عن توجيه الله تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام باتخاذ الوطن، وبيان أنه حق للإنسان لا يحيا بدونه، يعز بعزه، ويذل بذله.

ولله در الإمام الجاحظ عند الحديث عن الوطن في حياة الأنبياء أشار إلى موقف بعض الأنبياء من الوطن ومنهم سيدنا يوسف عليه السلام فقال: ومن أصدق الشواهد

في حب الوطن أن يوسف عليه السلام لما أدركته الوفاة، أوصى أن تحمل رمته إلى موضع مقابر أبيه وجده يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام.

وروى أن أهل مصر منعوا أولياء يوسف عليه السلام من حمله فلما بعث الله موسى عليه السلام، وأهلك على يديه فرعون وغيره من الأمم، أمره أن يحمل رمته إلى تربة يعقوب بالشام وقبره علم بأرض بيت المقدس بقرية حسامى.

وكذلك يعقوب عليه السلام مات بمصر فحملت رمته إلى إيلياء قرية بيت المقدس، وهناك قبر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام [١٢٧].

قال الجاحظ: ومن حب الناس للوطن وقناعتهم بالعطن أن إبراهيم عليه السلام لما أتى بهاجر أم إسماعيل مكة فأسكنها وليس بمكة أنيس ولا ماء، ظمأ إسماعيل فدعا إبراهيم ربه فقال {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي} [إبراهيم: ٣٧]أجاب الله دعاءه إذ رضي به وطنا، وبعث جبريل عليه السلام فركض موضع زمزم برجله فنبع منه زمزم.

ومر بإسماعيل وأمه فرقة من جرهم فقالوا: أتأذنون لنا أن نترل معكم؟ فقالت هاجر: نعم ولكن لا حق لكم بالماء، فصار إسماعيل وأمه قطان مكة لدعوة إبراهيم عليه السلام، نعم وهي مع جدوبيتها خير بقاع الأرض إذ صارت حرما، ولإسماعيل وولده مسكنا، وللأنبياء منسكا وحرما على غابر الدهر[١٢٨].

وممن تمسك من بني إسرائيل بحب الأوطان خاصة ولد هارون وآل داوود، لم يمت منهم ميت في إقليم بابل، في أي بلد مات، إلا نبشوا قبره بعد حول، وحملت رمته إلى موضع يدعى الحصاصة بالشام فيودع هناك حولا، فإذا حال عليه الحول نقلت إلى بيت المقدس[١٢٩].

ولعله إذا لم يكن فيما سبق من إيراد لحال بعض الأنبياء كيوسف عليه السلام ويعقوب عليه السلام ما يصح الاستناد إليه، فيمكن أن يكون من قبيل الاستئناس في ضمن ما مضى من الآيات، التي تحدثت عن حال الأنبياء والرسل مع الوطن، والله تعالى أعلم.

الخاتمة نسأل الله تعالى حسنها

الحمد لله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما كثيرا،،، وبعد

فقد أتينا على نهاية البحث الذي تناول قضية مهمة من موضوعات القرآن الكريم وهي قضية الوطن وقد تمخض هذا البحث عن بعض النتائج والتوصيات التي بانت من خلال معايشتي له هذه أهمها

أولا: أهم النتائج

– أظهر البحث أن حب الأوطان من فطر الله تعالى التي فطر الناس عليها لا يشذ عن ذلك إلا ذوو الفطر المعوجة.

– أظهر البحث أن الأفهام قد تتباين في نظرتها إلى هذه القيمة العظيمة بين الإفراط والتفريط والحق وسط بين رذيلتين.

– أظهر البحث أن الوطن له أقسام ثلاثة لا يحيا الإنسان في لحظة من لحظات حياته إلا في ظل وطن منها ولكل قسم من هذه الأقسام حق في رقبة الإنسان لا يسقط حق واحد منها إلا وثبت في رقبته حق وطن آخر منها.

– أظهر البحث أن القرآن الكريم أولى الوطن عناية فائقة حيث ذكره في أكثر من خمسين آية.

– أظهر البحث أن القرآن الكريم ينظر إلى موضوع الوطن على أنه حق للإنسان.

– أظهر البحث أن القرآن الكريم نظر إلى موضوع الوطن على أنه نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان تستحق الشكر كسائر نعم الله تعالى.

– أظهر البحث أن لا تعارض بين الدين والوطن فإن الانتماء للوطن لا ينافي بحال الانتماء للدين بل من متممات الانتماء للدين الانتماء للوطن.

– أظهر البحث أن القرآن الكريم جعل الحرمان من الوطن عقوبة إلهية فكما امتن سبحانه على أناس بنعمة الوطن فقد عاقب أناسا آخرين بالإخراج من أوطانهم.

– أظهر البحث أن القرآن الكريم يجعل الإخراج من الوطن قرينا للموت أو العذاب.

– أظهر البحث أن القرآن الكريم يجعل هجرة الوطن تارة محمودة وتارة أخرى مذمومة تأسيسا على الموازنة بين الوطن والدين.

– أظهر البحث أن القرآن الكريم شرع الدفاع عن الوطن وجعل بذل الغالي والنفيس في سبيله من القربات إلى الله تعالى.

– أظهر البحث أن الوطن له قيمة عالية في حياة خير خلق الله تعالى وهم الأنبياء كما حكى القرآن الكريم.

ثانيا: أهم التوصيات

– يمكن أن تعقد سلسلة من الندوات للتعريف بقيمة الوطن من خلال نظرة القرآن الكريم نظرا لما للوطن من أهمية قصوى في حياة البشر.

– يمكن أن يعقد مؤتمر عالمي في الجامعة الأزهرية يدعى إليه وجوه الناس شتى بقاع الأرض للتعريف بهدي القرآن الكريم في هذه القضية العظمى مقارنة بضلالات البعض المنتشرة هنا وهناك تجاه هذه القضية.

– يمكن أن يستحدث الأزهر الشريف في مراحله الدراسية المختلفة مقررا دراسيا حول موضوع الوطن بل ويدعو الجامعات والمدارس الأخري في مصرنا الحبيبة ووطننا العربي أن يعمموا هذا المقرر الدراسي في مدارسهم وجامعاتهم ودولهم

حتي يشيع الهدي القرآني العظيم الذي أتى على كل شاردة وواردة في هذه القضية بالمعالجة والعناية.

وبعد فهذه أهم النتائج والتوصيات التي بانت لي من خلال معايشتي لهذا البحث والله تعالى من وراء قصدي وهو حسبي ونعم الوكيل.

ثبت المراجع والمصادر التي استقى البحث منها مادته العلمية

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للعلامة ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٩١ هـ، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الرابعة ٢٠٠٤ ، تقديم محمود عبدالقادر الأرناؤوط.

٢- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المالكي ٥٤٣، مراجعة محمد عبدالقادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٣- الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله ت ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار البشائر الإسلامية – بيروت

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ت ٩٨٢، طبعة مكتبة الرياض الحديثة، بدون، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا.

٥- الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم محمد عمارة، طبعة دار الشروق ٢٠٠٩.

٦- الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني ت ٥٦٢هـ ، تقديم عبدالله عمر البارودي، طبعة دار الفكر .

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تقديم محمود عبدالقادر الأرناؤوط، طبعة دار صادر بيروت، الطبعة ٢ الثانية٢٠٠٤.

٨- الأوطان والبلدان للعلامة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت٢٥٦هـ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مكتبة الأسرة ١٩٩٨.

٩- بحر العلوم للعلامة نصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي، تحقيق محمد مطرحي، طبعة دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٨=١٩٩٧.

١٠- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة السني١٢٢٤هـ، تحقيق عمر أحمد الزاوي، مراجعة عبد السلام العمراني، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ٢٠١٠.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد الكريم الغرباوي راجعه فياض عبد الباقي ود. خالد عبد الكريم جمعة، طبعة الكويت، الأولى، ١٤٢٢=٢٠٠١.

١٢- تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن محمد بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ت ٥٧١هـ، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، طبعة دار الفكر .

١٣- التحرير والتنوير للأستاذ العلامة محمد الطاهر ن عاشور طبعة الدار التونسية ١٩٨٤.

١٤- التسهيل لعلوم التنزيل للعلامة محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ت ٢٩٢ هـ، طبعة دار الفكر، بيروت

١٥- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، ت ٨١٦هـ، تحقيق إبراهيم الإبياري، طبعة دار الريان للتراث بدون.

١٦- تفسير الإمام محمد متولي الشعراوي، طبعة أخبار اليوم ،بدون.

١٧- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، طبعة دار المنار ، الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ.

١٨- تفسير القرآن العظيم لأبي الحسن علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي ت٦٤٣هـ ،تحقيق موسى علي موسى سعود،أشرف محمد عبد الله القصاص، طبعة دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى ١٤٣٠=٢٠٠٩.

١٩- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير بن بن ضوء بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ، تخريج محمود بن الجميل – وليد محمد سلامة – خالد محمد عثمان، طبعة مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ١٤٢٥=٢٠٠٤.

٢٠- تفسير القرآن العظيم لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ت٣٩٩هـ، تحقيق د. أبي عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكتبي، الطبعة الأولى ١٤٢٣= ٢٠٠٢.

٢١- التفسير المنير لمعالم التنزيل المشتهر بمراح لبيد تفسير النووي، للعلامة السيد محمد نووي الجاوي، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٢٨=٢٠٠٧.

٢٢- التفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازي ت١٣٩٢ه، باعتناء وتقديم الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، طبعة دار القدس العربي، الطبعة الأولى ١٤٣٨=٢٠١٧.

٢٣- تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر طبعة ١٤١٧=١٩٩٦.

٢٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت٢٥٦هـ ، طبعة دار طوق النجاة، الأولى ١٤٢٢.

٢٥- الجامع لعلم القرآن لعلي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرماني ت ٣٨٤ جمع ودراسة دكتور خضر محمد نبها، تقديم د . رضوان السيد ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ٢٠٠٩م.

٢٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي ت٨٧٥ تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود – عبد الفتاح أبو سنة، طبعة إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤١٨=١٩٩٧.

٢٧- الجوهرة النيرة على مختصر القدوري لأبي بكر علي بن محمد الحدادي الزبيدي اليمني ت٨٠٠ نشر المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، ١٣٢٢.

٢٨- الحنين إلى الأوطان ص٣٨، وتاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري ت ٣١٠هـ، طبعة دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية – ١٣٨٧ هـ.

٢٩- الخلافة لمحمد رشيد رضا ، الطبعة الأولى، طبعة مؤسسة اقرأ ٢٠١٤.

٣٠- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، للدكتور محمد عبد الله دراز، طبعة مؤسسة اقرأ ٢٠١٤.

٣١- دوائر الانتماء وتأصيل الهوية تحرير أ.د. نادية مصطفى – أسامة مجاهد –ماجدة إبراهيم، طبعة دار البشير، الطبعة الأولى ١٤٣٤=٢٠١٣.

٣٢- الرسول صلى الله عليه وسلم وقضايا المجتمع، للدكتور محمد سيد أحمد المسير، طبعة المؤسسة العربية الحديثة ١٩٨٨.

٣٣- الروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق بن حسن بن علي الحسني القنوجي البخاري، طبعة دار الجيل، بيروت، بدون.

٣٤- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧، طبعة ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٣ = ٢٠٠٢.

٣٥- زهر الربيع مختصر ربيع الأبرار للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، وربيع الأبرار للإمام محمود بن عمر الزمخشري تحقيق مصطفى حجازي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠١١.

٣٦- زهرة التفاسير للشيخ محمد أحمد مصطفى أبو زهرة ت١٩٧٤طبعة دار الفكر العربي الطبعة السابعة ١٩٨٧.

٣٧- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار لمحمد بن علي الشوكاني ت١٢٥٠، تحقيق محمود إبراهيم زايد، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٥= ١٩٩٤الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

٣٨- الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري، طبعة دار الريان للتراث، بدون.

٣٩- في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، طبعة دار الشروق، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٠٦=١٩٨٦.

٤٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض، فتحي عبدالله أحمد حجازي، ط مكتبة العبيكان الأولى ١٤١٨=١٩٩٨.[1]حديث القرآن عن نعمة الأمان للشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الأسبق طبعة مجمع مطابع الأزهر الشريف الثالثة ١٤٢٩ = ٢٠٠٨.

٤١- لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن ت٧٢٥هـ، وبهامشه معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت٥١٦هـ ، طبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٩=١٩٧٩.

٤٢- اللباب في علوم الكتاب لأبي جعفر عمر بن علي بن عادل الدمشقي ت٨٨٠هـ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – على محمد معوض – مشاركة محمد سعد رمضان – محمد متولي الدسوقي حرب ، طبعة دار الكتب العلمية بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩=١٩٩٨.

٤٣- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن أبي الحسن بن أحمد بن منظور ت٧١١هـ تحقيق عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف .

٤٤- لطائف الإشارات للإمام زين الإسلام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري ت٤٦٥هـ طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب الطبعة الرابعة ٢٠٠٧ تحقيق إبراهيم بسيوني .

٤٥- المبسوط لشمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ت٤٨٣، نشر دار المعرفة، بيروت ١٤١٤ =١٩٩٣ .

٤٦- متن نور الإيضاح للعلامة حسن بن عمار الشرنبلالي، اعتناء مهند شحادة الملا، طبعة مكتبة الدقاق، الطبعة الأولى ١٤٣٧= ٢٠١٦.

٤٧- المجتمع الإسلامي للدكتور مصطفى عبد الواحد، طبعة المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٨٨.

٤٨- محاسن التأويل للعلامة محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ١٣٧٦= ١٩٥٧.

٤٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ت٥٤١هـ، طبعة دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣= ٢٠٠٢.

٥٠- مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٣ .

٥١- المسند المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث، بيروت.

٥٢- المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرنـاؤوط – ط مؤسسـة الرسالة – الأولى ١٤٢١=٢٠٠١.

٥٣- المسند للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت٢١١، تحقيـق حبيـب الـرحمن الأعظمي

ط المكتب الإسلامي – بيروت، ط ٢، ١٤٠٣.

٥٤- المسند للإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، ط دار المأمون ، الطبعـة الأولى ١٤٠٤=١٩٨٤.

٥٥- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت٥١٦هـ طبعـة دار الفكر ١٣٩٩=١٩٧٩ على هامش تفسير الخازن .

٥٦- معالم في الطريق للأستاذ سيد قطب طبعـة دار الشـروق، الطبعـة السادسـة ١٣٩٩=١٩٧٩.

٥٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار الحـديث بالقاهرة ١٤٢٢=٢٠٠١.

٥٨- المعجم الوجيز طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر، ١٤١٠=١٩٩٠.

٥٩- مقال في جريدة الأهرام المصرية للأستاذ زكي نجيب محمود ١٩٨٥/١٢/١٧ عدد ٣٦١٦٨،ص١٣. نقلا عن الانتماء في ظل التشريع الإسلامي للدكتور عبد الله مبروك النجار، طبعة المؤسسة العربية الحديثة ١٩٨٨.

٦٠- مواهب الجليل شرح مختصر خليل لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بـن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي الرعيني ت٩٥٤، طبعة دار الفكر، الطبعـة الثالثـة ١٤١٢= ١٩٩٢.

٦١- الموسوعة الفقهية الكويتية ، أصدرتها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧= ٢٠٠٦.

٦٢- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ت ٦٠٦هـ، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

٦٣- الوجيز في تفسير القرآن العزيز للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ت٤٦٨هـ على هامش مراح لبيد طبعة دار الفكر بيروت ١٤٢٥=٢٠٠٧ .

الهوامش والإحالات

[١]- تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن محمد بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ت ٥٧١هـ، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، طبعة دار الفكر ٣٢٥/٢٣ ت ٢٨٠٥.

[٢]- الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني ت ٥٦٢هـ ، تقديم عبدالله عمر البارودي، طبعة دار الفكر ٢٤٤/٣.

[٣]- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن أبي الحسن بن أحمد بن منظور ت٧١١ه، تحقيق عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف ٤٨٦٨/٥١مادة وطن.

[٤]- مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٣ ص٣٠٣ مادة وطن.

[٥]- المعجم الوجيز طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر، ١٤١٠=١٩٩٠ ص ٦٤٧، مادة وطن.

[٦]- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد الكريم الغرباوي راجعه فياض عبد الباقي ود. خالد عبد الكريم جمعة، طبعة الكويت، الأولى، ١٤٢٢=٢٦١/٢٠٠١٣٦ مادة وطن.

[٧]- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، ت ٨١٦هـ، تحقيق إبراهيم الإبياري، طبعة دار الريان للتراث بدون. ص ٣٢٧.

[٨]- الموسوعة الفقهية الكويتية ، أصدرتها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧= ٢٠٠٦، ٤٤/ ٥٦ مادة وطن.

[٩]- المعجم الوجيز، ص ١٦٨ ، ١٦٩، مادة حل

[١٠] – النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ت ٦٠٦هـ، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، ١٣٩/٢

[١١]- مختار الصحاح، ص ٩٠، مادة دور.

[١٢]- الروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق بن حسن بن علي الحسني القنوجي البخاري، طبعة دار الجيل، بيروت، بدون ٣٦٢/٢، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار لمحمد بن علي الشوكاني ت١٢٥٠، تحقيق محمود إبراهيم زايد، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٥= ٤٨١/١٩٩٤،٤.

[١٣]- الخلافة لمحمد رشيد رضا ، الطبعة الأولى، طبعة مؤسسة اقرأ ٢٠١٤، ص٥١.

[١٤]- متن نور الإيضاح للعلامة حسن بن عمار الشرنبلالي، اعتناء مهند شحادة الملا، طبعة مكتبة الدقاق، الطبعة الأولى ١٤٣٧= ٢٠١٦ص٨٠، المبسوط لشمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ت٤٨٣، نشر دار المعرفة، بيروت ١٤١٤ =١٩٩٣ ٢٥٣/١،الجوهرة النيرة على مختصر القدوري لأبي بكر علي بن محمد الحدادي الزبيدي اليمني ت٨٠٠ نشر المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، ١٣٢٢، ٨٧/١.

[١٥]- مواهب الجليل شرح مختصر خليل لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي الرعيني ت٩٥٤، طبعة دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤١٢= ١٩٩٢، ١٤٨/٢.

[١٦]- الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري، طبعة دار الريان للتراث، بدون ٤٢٨/١:٤٢٥ باختصار.

[١٧]- الموسوعة الفقهية الكويتية ٥٨/٤٤،٥٩.

[١٨]- الموسوعة الفقهية الكويتية ٥٩/٤٤،٦٠.

[١٩] - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٢=٢٠٠١ص٣٢٤:٣٢٥.

[٢٠] - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ص١٤٠، ١٤١.

[٢١] - راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص١٤٠ ،١٤١.

[٢٢] - الحنين إلى الأوطان للجاحظ ٢٨:١١ باختصار شديد

[٢٣] - زهر الربيع مختصر ربيع الأبرار للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، وربيع الأبرار للإمام محمود بن عمر الزمخشري تحقيق مصطفى حجازي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠١١، ص٨٩.

[٢٤]- دوائر الانتماء وتأصيل الهوية تحرير أ.د. نادية مصطفى – أسامة مجاهد –ماجدة إبراهيم، طبعة دار البشير، الطبعة الأولى ١٤٣٤=٢٠١٣، ص١٠

[٢٥]- في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، طبعة دار الشروق، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٠٦=١٩٨٦، ٧٠٨/٢.

[٢٦]- في ظلال القرآن ٧٥٣/٢.

[٢٧]- في ظلال القرآن ١٤١٣/٣ باختصار.

[٢٨]- معالم في الطريق للأستاذ سيد قطب طبعة دار الشروق، الطبعة السادسة ١٣٩٩=١٩٧٩ ، في ظلال القرآن ١٧٢١/٣.

[٢٩]- مقال في جريدة الأهرام المصرية للأستاذ زكي نجيب محمود ١٩٨٥/١٢/١٧ عدد ٣٦١٦٨،ص١٣. نقلا عن الانتماء في ظل التشريع الإسلامي للدكتور عبد الله مبروك النجار، طبعة المؤسسة العربية الحديثة ١٩٨٨ ص٣٨:٤١ باختصار.

[٣٠]- لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن ت٧٢٥هـ، وبهامشه معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت٥١٦هـ ، طبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٩=١٩٧٩ ،٢٠٤/٣.

[٣١]- معال التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت٥١٦هـ طبعة دار الفكر ١٣٩٩=١٩٧٩ على هامش تفسير الخازن ٢٠٤/٣.

[٣٢] - بحر العلوم للعلامة نصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي، تحقيق محمد مطرحي، طبعة دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٨=١٩٩٧، ٩٧/١.

[٣٣]- التفسير المنير لمعالم التنزيل المشتهر بمراح لبيد تفسير النووي، للعلامة السيد محمد نووي الجاوي، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٢٨=٢٠٠٧، ٢٥/١.

[٣٤]- الوجيز في تفسير القرآن العزيز للإمام أبي الحسن على بن أحمد الواحدي ت٤٦٨هـ على هامش مراح لبيد طبعة دار الفكر بيروت ١٤٢٥=٢٠٠٧ ، ٢٥/١.

[٣٥]- لطائف الإشارات للإمام زين الإسلام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري ت٤٦٥هـ طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب الطبعة الرابعة ٢٠٠٧ تحقيق إبراهيم بسيوني ١٠٢/١.

[٣٦]- زهرة التفاسير للشيخ محمد أحمد مصطفى أبو زهرة ت١٩٧٤طبعة دار الفكر العربي الطبعة السابعة ١٩٨٧، ٤٩٩٢/٩.

[٣٧]- التحرير والتنوير للأستاذ العلامة محمد الطاهر ن عاشور طبعة الدار التونسية ١٩٨٤ ،١٧/٢٧٤.

[٣٨]-الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله ت ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، باب من أصبح آمنا في سربه ص١١٢ ت٣٠٠

[٣٩]الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ ، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود ، علي محمد معوض، فتحي عبدالله أحمد حجازي، ط مكتبة العبيكان الأولى ١٤١٨=١٩٩٨ ، ٤/ ٥٦١.

[٤٠]حديث القرآن عن نعمة الأمان للشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الأسبق طبعة مجمع مطابع الأزهر الشريف الثالثة ١٤٢٩ = ٢٠٠٨ ص ٤٤.

[٤١]حديث القرآن عن نعمة الأمان ص ٤٥

[٤٢]الكشاف للزمخشري ٤/٥١٥

[٤٣]- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للعلامة ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٩١ هـ، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الرابعة ٢٠٠٤ ، تقديم محمود عبدالقادر الأرناؤوط ١/ ٥٦٢ ، الكشاف ٣/ ٤٧٧.

[٤٤]- الجامع لعلم القرآن لعلي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرماني ت ٣٨٤ جمع ودراسة دكتور خضر محمد نبها، تقديم د . رضوان السيد ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ٢٠٠٩م ص ٣٠٩.

[٤٥]- محاسن التأويل للعلامة محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ١٣٧٦= ١٩٥٧، ١٠/٣٨٦٨

[٤٦]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ت ٩٨٢، طبعة مكتبة الرياض الحديثة، بدون، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، ٢/٥١٠

[٤٧]-أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المالكي ٥٤٣، مراجعة محمد عبدالقادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون، ٢/ ٤٣٩.

[٤٨] – زهرة التفاسير ٦/ ٣٢٠١

[٤٩]– تفسير الكشاف ١/ ٦٨٠

[٥٠]–أخرجه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في مسنده تحقيق شعيب الأرناؤوط – ط مؤسسة الرسالة – الأولى ١٤٢١=٢٠٠١، ١٣/٣١ ح١٨٧١٧، والإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني في مسنده ت٢١١، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
ط المكتب الإسلامي – بيروت، ط ٢، ١٤٠٣، باب فضل الحرم وأول من نصب أنصاب الحرم ٢٦/٥ ح ٨٨٦٨، وأبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى ط دار المأمون ، الطبعة الأولى ١٤٠٤=١٩٨٤ ، ٦٩/٥ ح ٢٦٦٢.

[٥١]– أخرجه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت٢٥٦هـ في صحيحه المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، طبعة دار طوق النجاة، الأولى ١٤٢٢، كتاب التفسير، باب قوله تعالى " ما ودعك ربك وما قلى" ١٧٣/٦ ح ٤٩٣٥، والإمام مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه المسمى بالمسند المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث، بيروت،١٣٩/١ ح٢٥٢.

[٥٢]زهرة التفاسير ٢/ ١٥٥٥

[٥٣]تفسير أبي السعود ١/ ٦٣٢

[٥٤]– التسهيل لعلوم التنزيل للعلامة محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ت ٢٩٢ هـ، طبعة دار الفكر، بيروت، ٣/ ٢٦٢

[٥٥]– تفسير البيضاوي ١/ ٣٥٠

[٥٦]– تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، طبعة دار المنار ، الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ، ٣/٩

[٥٧]– زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧، طبعة ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٣ = ٢٠٠٢، ص ٥٧٤.

[٥٨]– تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر طبعة ١٤١٧=١٩٩٦، ١/ ٦٤٦

[٥٩]– التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٧٣

[٦٠]- الكشاف ٢/ ٦٠٣، ٦٠٤ باختصار.

[٦١]- بحر العلوم ٢/ ٢٤٨ باختصار

[٦٢]- تفسير النسفي ٢/ ١٨١.

[٦٣]الانتماء في ظل التشريع الإسلامي ص ٣٠، ٣١ باختصار.

[٦٤]- زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٥٠

[٦٥]- زاد المسير ص ٩٢٢

[٦٦]- مدارك التنزيل ٢/ ٤٠٥

[٦٧]- التسهيل لعلوم التنزيل ٣/ ٢١

[٦٨]-لطائف الإشارات ٤٢/٣

[٦٩]- حديث القرآن عن نعمة الأمان ص٦٢

[٧٠]- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ٤٦٧٤/١٣.

[٧١]- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير بن بن ضوء بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ، تخريج محمود بن الجميل – وليد محمد سلامة – خالد محمد عثمان، طبعة مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ١٤٢٥=٢٠٠٤ ، ٧٦/٦.

[٧٢]- تفسير النسفي ٦٧٨/٢.

[٧٣]- زاد المسير لابن الجوزي ١٠٦٨.

[٧٤]- بحر العلوم ٦٤١/٢

[٧٥]- زاد المسير ١٠٨٣،التسهيل لعلوم التنزيل ١١٦/٣، بحر العلوم ٥٦/٣.

[٧٦]- تفسير النسفيي٥٦/٣.

[٧٧]- لطائف الإشارات ١٨٠/٣.

[٧٨]- تفسير النسفي ١٠٤/٣.

[٧٩]- حديث القرآن عن نعمة الأمان ص ٥٣،٥٤باختصار.

[٨٠]- بحر العلوم ٢٩١/٣.

[٨١]- تفسير القرآن العظيم لأبي الحسن علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي ت٦٤٣هـ ،تحقيق موسى علي موسى سعود، أشرف محمد عبد الله القصاص، طبعة دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى ١٤٣٠=٢٠٠٩، ١٨٨/١.

[٨٢]- الوجيز للواحدي ١٧٤/١

[٨٣]- اللباب في علوم الكتاب لأبي جعفر عمر بن علي بن عادل الدمشقي ت٨٨٠هـ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – على محمد معوض – مشاركة محمد سعد رمضان – محمد متولي الدسوقي حرب ، طبعة دار الكتب العلمية بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩=١٩٩٨، ٤٧١/٦.

[٨٤]- أحكام القرآن ٥٧٩/١.

[٨٥]- تفسير المنار ٢٤٠/٥.

[٨٦]- تفسير الإمام محمد متولي الشعراوي، طبعة أخبار اليوم ،بدون ٢٣٧٩/٤.

[٨٧]- تفسير البيضاوي ١٠٦٣/٢.

[٨٨]- تفسير السخاوي ٤٥١/٢.

[٨٩]- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة السني١٢٢٤هـ، تحقيق عمر أحمد الزاوي، مراجعة عبد السلام العمراني، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ٢٠١٠، ٥/٨

[٩٠]- تفسير الخازن ٥٨/٧، وتفسير البغوي ٥٨/٧.

[٩١]- الوجيز للواحدي٤١٣/٢، مراح لبيد ٤١٣/٢، التسهيل لعلوم التنزيل ١٠٧/٤، تفسير القرآن العظيم لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ت٣٩٩هـ، تحقيق د. أبي عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكتبي، الطبعة الأولى ١٤٢٣= ٢٠٠٢ ، /٣٦٦، محاسن التأويل للقاسمي ٥٧٣٥/١٧، الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي ت٨٧٥ تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود – عبد الفتاح أبو سنة، طبعة إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤١٨=١٩٩٧ ٤٠٧/٥، تفسير أبي السعود ٣٠٠/٥.

[٩٢]- الكشاف ٧٥/٦.

[٩٣]- التحرير والتنوير ٧٣/٢٨.

[٩٤]- زاد المسير لابن الجوزي ٢٥٠

[٩٥]- البحر المديد لابن عجيبة ٤١٧/١.

[٩٦]- مراح لبيد ١٥٠/١ باختصار يسير.

[٩٧]- تفسير النسفي ٢٨٥/١.

[٩٨]- لباب التأويل للخازن ٤٦٩/١، محاسن التأويل للقاسمي ١٠٧٢/٤.

[٩٩]- تفسير الشعراوي ١٩٦٦/٤.

[١٠٠]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ت٥٤١هـ، طبعة دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣= ٢٠٠٢ ص١٨٤١.

[١٠١]- الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم محمد عمارة، طبعة دار الشروق ٢٠٠٩ ١١،٩/٨

[١٠٢]- محاسن التأويل ٥٧٤٠/١٧.

[١٠٣]- مراح لبيد ٣٦٢/١.

[١٠٤]-المجتمع الإسلامي للدكتور مصطفى عبد الواحد، طبعة المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٨٨ص٧٥.

[١٠٥]- التحرير والتنوير ٤٥٧/٢.

[١٠٦]- التحرير والتنوير ٤٥٩/٢.

[١٠٧]- تفسير النسفي ١٦٠/١.

[١٠٨]- الرسول صلى الله عليه وسلم وقضايا المجتمع، للدكتور محمد سيد أحمد المسير، طبعة المؤسسة العربية الحديثة ١٩٨٨، ص١٤٦.

[١٠٩]- الأوطان والبلدان للعلامة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت٢٥٦هـ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مكتبة الأسرة ١٩٩٨، ص٤٦.

[١١٠]- تفسير ابن كثير ٣٥١/١.

[١١١]- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تقديم محمود عبدالقادر الأرناؤوط، طبعة دار صادر بيروت، الطبعة ٢ الثانية٢٠٠٤ ١٣٥/١،.

[١١٢]- إرشاد العقل السليم ٣٧١/١.

[١١٣]- زهرة التفاسير ٨٨٧/٢ باختصار وتصرف.

[١١٤]-دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، للدكتور محمد عبد الله دراز، طبعة مؤسسة اقرأ ٢٠١٤ ، ص١٦١.

[١١٥]- التحرير والتنوير١٤/١٠١.

[١١٦]- التفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازي ت١٣٩٢ه، ـــباعتناء وتقديم الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، طبعة دار القدس العربي، الطبعة الأولى ١٤٣٨=٢٠١٧، ٩٧/٤.

[١١٧]- تفسير النسفي ٤٦٢/٢.

[١١٨]- التفسير الواضح ٩٢/٣.

[١١٩]- التفسير الواضح ٩٢/٣.

[١٢٠]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية بن غالب الأندلسي ت٥٤١ه،ـــطبعة دار ابن حزم ١٤٢٣=٢٠٠٢، ص٧٢٤.

[١٢١]- لباب التأويل للخازن ١٠٨/١.

[١٢٢]معالم التنزيل للبغوي ١٠٨/١ على هامش تفسير الخازن.

[١٢٣]- لباب التأويل ٤٦/٣.

[١٢٤]- حديث القرآن عن نعمة الأمان، للشيخ محمد سيد طنطاوي ص١٨، ١٩.

[١٢٥]- زاد المسير لابن الجوزي١٠٨١.

[١٢٦]- لباب التأويل ١٩١/٣.

[١٢٧]- الحنين إلى الأوطان ص٣٨، وتاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري ت ٣١٠هـــ، طبعة دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية – ١٣٨٧ هـــ، ٣٦٤/١

[١٢٨]- الحنين إلى الأوطان ص٣٨.

[١٢٩]- الحنين إلى الأوطان ص٣٩.

الفهرس

م	اسم الباحث	موضوع البحث	الصفحة
1	دكتورة: عائشة سعيد صالح الخضري- أستاذ النحو والصرف المساعد -جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية	«تقْوِيَةُ الْمَبْنَى خِدْمَةً لِلْمَعْنَى؛ دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ صَرْفِيَّةٌ»	٩
2	الدُّكتور عزَّت توفيق مصطفى الجريتلي -أستاذ النَّحو والصَّرف والعَروض المساعد في قسم اللُّغة العربيَّة كليَّة الآداب - جامعة الفيوم	دراسة نحويَّة دلاليَّة لألفاظ القرآن الكريم لفظة وراء نموذجاً	٧١
3	الدُّكتور عزَّت توفيق مصطفى الجريتلي -أستاذ النَّحو والصَّرف والعَروض المساعد في قسم اللُّغة العربيَّة كليَّة الآداب - جامعة الفيوم	حذف الياء في الدَّرس اللُّغوي أنماطه وأسبابه	١٦٣
4	د. أحمد صلاح محمد إبراهيم مدرس بقسم الدراسات الأدبية كلية دار العلوم – جامعة القاهرة	النظام وصدع النظام في الأدب الجاهلي مستوياته ، وصوره ، ودلالاته	٢٨٥
5	الدكتور/ محمود خليفة محمود حضناوي أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم أصول الدين- كلية العلوم الإسلامية الأزهرية للطلاب الوافدين بالقاهرة	الوطن بين هدي القرآن وضلالات الأفهام	٣٣٣

رقم ايداع

١٨٥٥٨/ ٢٠١١

الترقيم الدولي

(ISSN ٢٣٥٦ - ٩٨٦٧)